المهمة وقصص أخرى

عَنْ بُطولاتِ الحَشْدِ الشَّعبيّ

دليل القصص الفائزة في مسابقة
القصة القصيرة المقامة ضمن فعاليات

مَهْرَجانَ فَتْوى الدِّفَاعِ
المُقَدَّسَةِ الثقافِي الثّامن

١٤٤٦ هـ - ٢٠٢٤ م

العتبة العباسية المقدسة. قسم الشؤون الفكرية والثقافية. مركز الدعم والتوثيق. مهرجان فتوى الدفاع (الثامن : 2024 : كربلاء، العراق)، مؤلف.

المهمة وقصص اخرى عن بطولات الحشد الشعبي : دليل القصص الفائزة في مسابقة القصة القصيرة المقامة ضمن فعاليات مهرجان فتوى الدفاع المقدسة الثقافي الثامن.-الطبعة الاولى.-كربلاء، العراق : العتبة العباسية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، مركز الدعم والتوثيق، 1446 هـ . = 2024.

94 صفحة ؛ 24 سم

1. القصص العربية الواقعية--العراق--القرن 21. 2. العراق. هيئة الحشد الشعبي--قصص. 3. الحسيني السيستاني، علي، 1349 هجري- --فتاوى . 4. داعش (منظمة ارهابية)--العراق--القرن 21--قصص. أ. العنوان.

LCC: PJ8046 .A8366 2024

مركز الفهرسة ونظم المعلومات التابع لمكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة

الفهرسة أثناء النشر

اسم الكتاب: المهمة وقصص أخرى عن بطولات الحشد الشعبي
الناشر: قسم الشؤون الفكرية والثقافية / مركز الدعم والتوثيق
الاشراف العام: السيد عقيل الياسري
الاشراف الفني: سرمد سالم حسن
التدقيق اللغوي: منتظر نعمة نجم
التصميم والاخراج الفني: كرار عامر الصافي
دار الكفيل للطباعة والنشر
الطبعة: الأولى
عدد السخ: ٥٠٠

المقدمة:

حينما تعرّض العراق للاعتداء الآثم من زُمَر الشر، كانت فيوضات الفتوى المباركة درعًا حصينًا جمعت شمل الوطن، أفشلت المخططات، ووحّدت الأطياف تحت ظلال التآخي والوحدة الوطنية، فانهارت القوى الغاشمة بعد معارك ضارية خاضتها قوات الحشد الشعبي والجيش العراقي الباسل للدفاع عن العراق ومقدّساته.

كانت الفتوى هي الفيصل، إذ مثّلت نداء الوطن الهادر، فبها انقلبت المعطيات وحتى النتائج.

نعم (فتوى الدفاع الكفائي) التي صدرت عن المرجع الديني الأعلى سماحة السيد علي الحسيني السيستاني -دام ظله- كانت نداء العراق لأبنائه حينما اقترب منه الغزاة.

انطلقت من مرقد الإمام الحسين عليه السلام على لسان ممثل المرجع الديني الأعلى في يوم الجمعة (١٣ حزيران ٢٠١٤م)، وقد لاقت استجابة منقطعة النظير، هبَّ لها أبناء العراق الغيارى من كافّة المحافظات؛ لتحرير الأرض من دنس الأشرار، ولتصبح هذه المناسبة ذكرى وطنيّة يُحتفى بها وبأبطالها الشجعان وشهدائها الأبرار كل عام.

وفي إطار احتفاء العتبة العبّاسيّة المقدّسة بهذه الذكرى العطرة، أقيم مهرجان سنوي تحت عنوان **"مهرجان فتوى الدفاع المقدّسة"**،

الـذي جمـع فعّاليّـات متنوّعـة على مـدار يـومين، شـملت الجوانـب العلميّـة والثقافيّـة والأدبيّـة، بما في ذلـك المسـابقات الأدبيّـة.

ومـن بين هـذه المسـابقات، جـاءت مسـابقة القصـة القـصيرة كأحـد أبـرز الفعّاليّـات، بهـدف إثـراء السـاحة الثقافيـة والوثائقيـة بـكل مـا يتعلّـق بالفتـوى، ومـا قدّمـه أبطـالها مـن صـور حيّـة للشـجاعة والإبـاء في تحريـر أراضينـا الحبيبـة مـن دنـس الأعـداء، لتظـل هـذه القصـص شـاهدًا للأجيـال القادمـة.

وصـل عـدد النصـوص المشـاركة في هـذه النسـخة مـن المسـابقة إلى (٥٨) نصًـا مـن أربـع دول هـي: (العـراق، لبنـان، سـوريا، إيـران)، وأسـفرت نتائـج المسـابقة عـن فـوز عشر قصـص مـن ثلاث دول، تـم إدراجهـا في هـذا الكتـاب الـذي حمـل اسـم **"المهمّـة"**، وهـو مسـتوحى مـن إحـدى القصـص الفائـزة.

تسـعى العتبـة العبّاسـيّة المقدّسـة مـن خلال هـذه المسـابقة إلى إثـراء السـاحة الأدبيّـة والثقافيّـة بنصـوص قـصيرة مسـتلهمة مـن قصـص التضحيّـة والشـجاعة لمبّي الفتـوى المباركـة، وتشـجيع الكتّـاب والمبـدعين على الإسـهام في توثيـق هـذا الإرث الخالـد بأسـلوب أدبي معـاصر.

غرفـــة ج

القصـــة الفائـــزة بالمركـــز الاول

للكاتـب علـــي لطيف كاظـــم

- العراق -

نهار مكفهر وبرد قارس وأوقات قادمة بعنوان مجهول وحسرات في مسافات الرحيل.

ممر آمن لخروج العوائل التي تحمّلت جبروت زمرة الضلال وهي تعبث بقرية صغيرة جاؤوا إليها برسالة الدمار، وتمكّنوا من قتل رجالها الذين رفضوا الرضوخ واختاروا الموت على زمن الذل مع الغرباء.

قوافل النساء والأطفال تشق الطريق، أقدامهم تغوص في الوحل ليعبروا الى ضفّة الخلاص تاركين وراءهم قصص جميلة لقرية آمنة كانت تزهو بالخضرة وألوان أجنحة الفراشات وضحكات الأطفال في حقولها النديّة.

رجال الحشد البواسل والقوات الأمنيّة تراقب الطريق؛ لغرض حماية المغادرين، وتحديد هوية المجرمين الذين يرومون الهروب تحت ظل العوائل.

عيونهم ترمق البعيد لغرض الانقضاض على بقايا الزمرة الدمويّة من الذين سيخوضون المعركة التالية.

سامر وعادل ومنير.. ثلاثة جنود لم يفترقوا أبداً.. نيرانهم تتسابق الى صدور البغاة ويفترشون السواتر ويشمّون عبق التراب الذي يتصاعد مع أزيز الرصاص.

يمتلكون عيون الصقر وقلوباً دافئةً ودموعاً تقف عند تخوم الأعين، تتناثر مع بكاء طفل وأنين أم وخوف عجوزٍ.

وفي لحظة منفلتة تقع عين عادل على امرأة خمسينيّة تتلفّت يميناً وشمالاً.. اقترب إليها وسألها عن سبب حيرتها، فقالت له:

– فقدت ابنتي، عمرها أربع سنوات.

الشحوب يعتلي وجهها وآثار التعب تُنبئ عن أيّام من العذابات والقهر.

عادل يهرول باتجاه المرأة.. سكتَ طويلاً.. رأى في عينيها سيلاً جارفاً من الحزن.. يغادر الجمود ويسأل عن ألوان ملابس ابنتها وقد اتخذ القرار بالمساعدة.

الوضع خطر جداً وهذه المرأة لن يهدأ لها بال إلّا برؤية ابنتها.

عادل يخبر سامر ومنير بالأمر والثلاثة راحوا يبحثون بجنون.. الأم الحزينة تكاد تفقد الأمل.

جلست على تلةٍ من التراب وهي تئن وتوجّه لنفسها عبارات اللّوم وتقولها بصوت شاجن.

جفون عينيها تهدّلت وصوتها يفقد قوّته والحروف انتبذت ولم يعد لها مكان.

بعد ساعتين من البحث والسؤال لكل من يخرج من القرية تمكّن سامر وصديقاه من العثور على الطفلة الضائعة واحضارها الى أمّها التي عادت إليها الحياة برؤيتها.

تعانقا وامتلأت رئة الأم بالاطمئنان وتقدّمت بالشكر للجنود الثلاثة.

المرأة الخمسينية تأخذ الطفلة وتنصرف والجنود الثلاثة ينظرون إليهما ولكن تفكيرهم ما زال معلّقاً بحكاية لم تكتمل فصولها.

نظرات سامر تجمّدت تجاههما، في جعبته شئ ما.

ماذا يريد أن يقول؟ لقد عرفها للتو! ماذا ينوي أن يفعل؟

أسئلة كثيرة تبادلها منير وعادل بصمت وهم يتابعان صديقهما الذي يحمل هموم الناس على كاهله.

(٢)

بعد ٥ أيّام.

الليل يمطر ظلاماً وبرداً والفاتحين يدخلون القرية لمطاردة المحتلين وهي واحدة من مجموعة قرى استباحها المجرمون وسرقوا أمانها.

مقاومة هزيلة من خلف الجدران وآخرون يستسلمون بعد إدراكهم حجم الخسارة.

الفاتحون يبسطون سيطرتهم ولكن الحزن يقول كلمته.

لم يبقَ شئ على حاله.. القرية التي كانت تغفو على أصوات العصافير باتت أشلاء.. فالعبثيّون لايفقهون الجمال، وداسوا بإقدامهم المثقلة بالمقت على أحلام الآمنين.

هذا ملخّص مايدور في خلد الأصدقاء الثلاثة الذين خرجوا للتو بصحبة زملائهم من معركة شرسة لاسترجاع هذه القرية التي

ودّعت أهلها في ليلة حزينة.. يعيشون فيها منذ فترة طويلة ولهم فيها ذكريات، عمرها يقاس بسعادة أهلها وبساطتهم ومساحة الألفة والمودة التي كانت تفوق مساحة أراضيهم الزراعية.

وقف سامر وعادل ومنير بملابسهم التي امتلأت بالتراب والدم أمام البيوت المدمّرة والنخيل التي فقدت هيبتها، وحاولوا أن يتذكّروا كيف كانت قبل هذا الخراب ويتصوروا حال الناس الذين كانوا هنا قبل أن تُخطف القرية من قبل زمرة السفاحين.

عادل ومنير يتحركان بضع خطوات، ثم يلتفتان لسامر الذي لايزال واقفاً بلا حراك.. عادل يسأل:

- هل ستبقى في مكانك؟

منير يقترب من سامر الذي يأبى الإجابة.

- تحرّك، علينا أن نجد مكاناً للراحة.

سامر ينظر إليهما قائلاً:

- ظننتكم تعرفون الطريق الصحيح.

فيرد عادل ساخراً:

- وهل تعرف أنت الطريق؟

سامر يحثّهم على السير:

- إذا أردتم مكاناً آمناً نرتاح فيه ونأكل، فرافقوني..

منير يضع يده على كتف سامر:

- احذر، أعتقد أنّ هذا الطريق تنتشر فيه العبوات.

سامر يرد بكل ثقة:

- لم تذكر هذا الأمر من قبل، وخصوصاً عندما ذهبت برفقة الأخ.

حالة الصمت تسيطر على المكان والجميع يتبادل النظرات.

منير ينظر الى الشوارع الخالية ثم قال:

- سنمشي معكم وأمرنا إلى الله.

الثلاثة يسيرون بين أطلال المنازل وبقايا الأحجار والدجاج والبقر الممزق ورائحة المكان تكاد تفتك الأنوف.

عادل ومنير ينظران الى ثقة زميلهم وأخذ القلق ينتابهما وتبادلا الحديث بصوت خافت.. عادل يهمس:

- منير، ما الأمر؟ إلى أين نحن ذاهبون؟

- لا أعرف.

وبعد أن قطعا مسافة طويلة، كلاهما يقف، سامر ينظر إليهما، ثم قال:

- لماذا توقفتم؟

عادل يرد:

- سامر، لقد استمعنا إليك طوال الطريق، ودائماً كانت توقعاتك صحيحة، لكن هذه المرة نريد أن نعرف إلى أين نتجه؟

سامر يشير بيده:

- وصلنا المكان.

عادل ومنير لم يتحركا من مكانهما.. سامر يتركهما ويمشي لوحده.

منير صارخاً:

- ماذا؟ هل وصلنا إلى المكان؟ أرجوك، توقف.

سامر يمشي في المقدمة وعادل ومنير ينظران بحذر يميناً وشمالاً.. منسوب القلق يرتفع.

التعب والإعياء يظهران على وجهي عادل ومنير ويواصلا السير خلف صاحبهما.

(٣)

سامر يقف أمام بيت قديم يكاد يكون هو الأكبر من بين بيوت القرية.

الدمع يتقافز من عينيه، عادل ومنير مندهشان من فعله ولا يعرفان ماذا يفعلان ويكتفيان بالنظر.

سامر يدفع الباب الخشبية الضعيفة وإذا بغبار التراب يتصاعد ويدخل للبيت بهدوء وكأنه مدعو عند أصحابها.

عادل ومنير لا يزالان في الخارج.. ذهول من فرط الثقة في مكان يجهلونه.

يدخلان ويكملان متابعة المشهد.

الطابـق الأرضي مكـون مـن غرفـتين فقـط.. لا مـؤشر للحيـاة وإنما سـكون مخيـف وذرات غبـار تتزاحـم مـع بعضهـا في مسـار رفيـع لضـوء الشـمس القـادم مـن فتحـة علويـة.

سـامر ينـزل الى الأرض ليمسـك بصـورة كـبيرة تـكسر زجاجهـا لرجـل مسـن ويقـوم بمسـحها وراح يعلقهـا على الجـدار.

ينظـر الى كل زاويـة في البيـت دون أن ينبـس بحـرف، يوجّـه نظـره الى كل شـئ.

وبعد أن تشبّعت عيناه من الألم التفت الى زميليه.

منير يضع أنامله على حاجيّات موجودة على طاولة خشبية ويقول:

– بيت غريب... من المؤكّد أنّ أهله توفو رحمهم الله.

عـادل يضـع يـده في جيبـه ليخـرج قداحتـه ويشـعل نصـف شـمعة يعلوهـا خيـط ابيـض رفيـع ليضـئ المكان.. ينظـر لزوايـا البيـت ثـم يقـول:

– هل سنبقى هنا؟ أم ماذا؟

سـامر يتوجـه الى غرفـة بابهـا مـن الخشـب القديـم.. تتوسـطه بقايـا عبارة(غرفـة ج) مكتوبـة بأنامـل مرتجفـة ويتـدلى مـن جانـب البـاب قفـل ملتـوٍ غير صالـح للبقـاء.

عـادل ومـنير يجلسـان على بقايـا الكـراسي المحـتضرة ويبـدأ عـادل بالسـؤال:

– مـنير: "لاحظـت شـيئاً غريبـاً؟ هـذا البيـت متكامـل وكأن أهلـه

موجـودون. تقريبـاً كل شيء في مكانـه.. فقـط يخلـو مـن سـاكنيه !

– قبل قليل قلت عن أهل الدار (رحمهم الله)!

– لا أعـرف... هنالـك سر غريـب في هـذا البيـت... القريـة مدمّـرة بالكامـل، أمّـا هـذا البيـت فلـم يمسّـه شيء.. هـل مـن المعقـول أنّ (الدواعـش) لم يدخلـوا إليـه؟

– اتـرك أمـر الدواعـش واسـمعني.. هـل تعلـم مـا أتمنـاه الآن؟.. أن آكل قليلاً مـن الطعـام وأنـام حتـى ظهـر اليـوم التـالي لأستريـح.

– من حقك التمني ياصديقي !

بعـد ٣٠ دقيقـة يخـرج سـامر مـن الغرفـة وعينـاه مغرورقتـان بالدمـع.. يمسـح عينيـه ويدخـل الى الغرفـة المجـاورة.

عادل يناديه:

– سامر، إلى أين تذهب؟ هل هو منزلك لتذهب أينما تحب؟

بعـد وقـت قـصير يخـرج سـامر وفي يديـه بيضتـان وعبـوة فيهـا قليـل مـن الزيـت.

منير يتحدث مازحاً:

– لا تخبرني أن هناك دجاجاً في الغرفة.

عادل يرد:

– وهل هنالك حيوان سَلِمَ من الرصاص؟

سامر محاولاً الهروب من الإجابة:

- دعونا من الأسئلة، وهيا لنأكل.

بدأ سامر يدفع باسطوانة الغاز الوحيدة المتبقية في البيت وهو يدعو الله أن تكون ممتلئة وإلاّ فالنتيجة ستكون مخيبة، وهذا يعني أنّهم سيضطرون لجمع الخشب وحرقه.

قام سامر بتقريب الاسطوانة من الطباخ وأخرج القداحة ليشعل النار وتفاجأ الجميع بألسنة زرقاء ووضع سامر المقلاة ورش القليل من الزيت وبعدها قام بكسر البيض في إناء زجاجي وقام بخفقه ووضعه في المقلاة وأخذت الرائحة تملأ المكان.

عادل ومنير يفرشان قطعة قماش على الأرض وسامر يضع المقلاة لياكلوا منها.

(٤)

الساعة الآن العاشرة مساءً ودرجة الحرارة انخفضت كثيراً والإحساس بالبرد يوازي وحشة المكان.

الجنود الثلاثة يتكئون على الجدار.. منير يخرج علبة سجائره ليشعل واحدة منها باسترخاء، يتحدث مع نفسه بصوت هادئ:

- أحتاج إلى سيجارة مع قدح من الشاي..

ضحك عادل من كلام منير قائلاً:

- ومن أين نحضر الشاي؟..

عـادل يطلـب سـيجارة مـن مـنير.. أمّـا سـامر فقـد قـام مـن مكانـه ودخـل مجـدداً للغرفـة الأولى.

عادل كعادته في المزاح الذي تخالطه الابتسامة:

- سامر، إذا عثرت على الشاي، أحضر لي قدحاً.

خـرج سـامر مـن الغرفـة وفي يـده اليمنـى حفنـة شـاي ونظـر إليهـم قـائلاً:

- شاي بالهال، مخلوط بالقهوة، والورد المحمدي.

منير ينفجر ضحكاً ويقول:

- اخبرني يا سامر هل هنالك بائع نشتري منه!

ينتهـي سـامر مـن تحـضير الشـاي وبعـد ان شرب الجميـع شـعر عـادل ومـنير بالنعـاس فخلـدا الى النـوم وهمـا في مـكانهما.. أمّـا سـامر فتنتظـره مهمّـة أخـرى.

يدخـل سـامر الى الغرفـة الأولى ليجلـب عـدداً مـن البطانيـات ويضعـهما على جسـدي زميليـه.

وبعـد مضي سـاعتين يحـاول مـنير أن يـغيّر وضعيّـة نومـه فيسـمع أنين مـن إحـدى الغرفـتين.

أنين بعيد ولكنّه يخترق السمع.. يحاول أن يركّز أكثر.

وبينـما التعـب يثقـل جفـون عينيـه، يـرى خيـال شـخص يمـر ببـطء ويـعبر مـن مـكان الى آخـر.

تارةً يحمل دلو ماء وأخرى حاجيات.

ضجيج في مكان كان يعاني من الاغتراب ولكن ايعازات العقل تفرض السكوت ولا مجال للنهوض.

يعود منير الى نومه اذ استسلمت قواه ولم يعد قادراً على فهم ما يحصل.

(٥)

الساعة الآن الثامنة صباحاً.

الصدفة تجعل عادل يستيقظ من نومه وينتبه لسامر وهو يتنقل بين الغرفتين.

ثمة ذهول يلف رأسه.. يسير عادل بهدوء نحو الغرفة ج التي دخلها سامر للتو وقبل أن يضع يده على الباب يخرج سامر.. وقفا وجهاً لوجه.

سامر بنظرة الرفض وعادل بنظرة الفضول.

سامر يضع يده على صدر عادل قائلاً:

- الى اين تذهب ؟

عادل يسأله:

- أريد أن أرى؟

- عادل ارجع مكانك ولا تحاول الدخول للغرفة.

– لماذا لا تخبرني... سامر ماذا يوجد في هذه الغرفة؟

– لا يوجد شيء في داخلها.

– إذن لماذا تمنعني من رؤيتها.

– ستعرف ذلك قريبا.

– لاااااااا.. اخبرني الآن.

الصراخ أيقظ منير.. عادل توجّه إلى منير قائلاً:

– انهض وانظر ماذا يريد صديقنا.. فهو يمنعني من دخول الغرفة.

منير يتحرك باتجاه سامر:

– ما هي قصة هذه الغرفة.. لحظة لحظة... لا أعلم إن كنت أحلم أم في يقظة، فقد رأيت امرأة تخرج من هذه الغرفة وهي تحمل بيدها مجموعة من الأدوات.. كما سمعت صوت آنين، سامر أخبرنا ماذا يحدث هنا؟

عادل في حالة ذهول:

– هل يوجد أحد معنا في البيت لا نعلم به؟

منير لم يتمالك نفسه:

– سامر، هل هذا البيت تسكنه الأرواح، وأنت تعرف ذلك؟ لا أريد البقاء هنا.

سامر يلتزم الصمت ولم يرد.. وبينما الأنفاس تتصاعد ينتبه الجميع لصوت أقدام تقترب من البيت ثم طرقات خفيفة على الباب.

عادل ومنير يهيئان سلاحهما.

سامر يشير إليهما بخفض السلاح وذهب بنفسه ليفتح الباب وكأنّه يعرف الضيف.

يفتح الباب وإذا بالمرأة الخمسينية التي أضاعت ابنتها في الممر الآمن واقفة أمامهم.

سامر يستقبلها بهدوئه المعتاد ولكن الذهول أصاب عادل ومنير.

يفسح لها الطريق كي تدخل.. وانبرى لها منير بالسؤال:

– من انت ؟ ألم تخرجي.. لماذا عدتي مرة أخرى؟

سامر يضع يده على كتف منير قائلاً:

– رجعت لتكمل واجبها، أم حسن جارتنا هي ممرضة تعمل في المستشفى وكانت تعالج الجرحى.

سامر يفاجئ عادل ومنير بأنّه يعرفها جيداً.

منير يصرخ بوجه سامر:

– هيا.. هيا أخبرنا، ما هي الأسرار الأخرى التي أخفيتها عنا، رغم أنّنا نرافقك وأعيننا مغمضة.

عادل يضرب يده على الجدار:

– لماذا اخفيت علينا هذا الأمر.. لماذا لا تتكلم عن أمر هذا البيت؟ ولماذا نحن هنا؟

المرأة الخمسينية محاولة تهدئة الموقف:

– لا داعي للانفعال... نحن في ظرف خاص.

منير يقف أمام المرأة الخمسينية:

– والآن من سيخبرنا بالحقيقة؟

المرأة الخمسينية تتحدث بغضب شديد:

– الحقيقة الوحيدة التي عليك معرفتها هي أنني وجدّة سامر بقينا نسعف الجرحى، وندفن الموتى، ونساعد الحوامل والأطفال.

الحقيقة الوحيدة التي عليك معرفتها هي أن حياتنا تدمرت.

الرجال عُذِّبوا وذُبِحوا، وأهلنا وجيراننا دفنّاهم في المزارع والبيوت، النساء الحوامل فقدن حياتهن أثناء الولادة، وأطفال ماتوا من البرد.

تلتفت الى سامر وتتحدث بغضب شديد:

– سامر، ألم تخبرهم لماذا اخترت هذا البيت دوناً عن باقي بيوت القرية؟

المرأة الخمسينية تشير الى الغرفة ج.

– ألم تخبرهم من في هذه الغرفة؟

منير وعادل يستمعان لحديث المرأة الخمسينية وينظران الى سامر الذي حاول أن يخفي عنهما سرّ هذا البيت.

سامر يتوجه الى الغرفة ج ويفتح بابها بهدوء ويوجه كلامه لعادل:

– تعال معي.. هل تريد التعرف على محتويات الغرفة؟ تفضل.

منير يسير بخطوات صغيرة نحو الغرفة ويقف عند مقدمة الباب..

غرفة فارغة.. لا تحتوي على أثاث ولا بشر.. وبعد برهة من الزمن يسمعون صراخ طفل رضيع.. يبدو أنّه يشم نسائم قريته المعذبة.

صراخ الطفل هو بوصلة منير.. يمشي ببطء نحو زاوية الغرفة.. يرى غطاء حديدي مرفوع ويلامس الجدار.. يقف عند الغطاء ليرى فجوة بحجم شخص واحد.. يبدو أنّه سرداب البيت الذي لم تصل إليه الجماعات التكفيرية.

سامر ينزل الى السرداب ومن خلفه منير وعادل والمرأة الخمسينية.

منير يرى غرفة تحت الأرض تحتوي على أربعة أسرّة.. اثنين منها لنساء.. واحدة انجبت قبل أيّام وأخرى انجبت للتو وبجانبهما طفلاهما وهنالك طفل جريح وآخر فقد احدى ساقيه.

سامر يشير الى جدته:

– هذه جدتي.. كانت تخرج ليلاً من الغرفة لتحضر الطعام وتغيّر ملابس النساء وأطفالهن.

وهذا ابني، عمره ست سنوات.. عندما كنت معكم في الواجب، علمت أن ساقه بُترت بسبب عبوة ناسفة.. أمّا زوجتي فقد توفيت.

سامر يقف أمام منير:

-أتريد معرفة سرّ عبارة غرفة ج؟

المرأة الخمسينية تقف وسط الغرفة وتنظر الى (منير) و(عادل) متحدثة بصوت منكسر:

– هـذه الغرفـة هـي غرفـة إسـعاف أهـل القريـة.. وسـامر أحضركـم إلى هـذا البيـت كـي تشـاهدوا بأعينكـم وتنقلـوا مـا ترونـه للنـاس.. اثنتـان مـن النسـاء الأرامـل قاتلـن التكـفيريين، وأسـعفن الجرحـى، ودفـنّ الموتـى.

أخبروا النـاس أنّ هنـاك أربعـة أطفـال سـوف يـكبرون ويصبحـون رجـالاً، ويعيـدون للقريـة هيبتهـا وكرامتهـا، ويدافعـون عنهـا.

مـن الضروري أن يفهـم العـالم كلـه أنّ الحشـد برجالـه ونسـائه وأطفالـه، قـد كتـب للتاريـخ ملحمـة إنسـانيّة أبطـالها كبـار وصغـار.

عـادل ومـنير يشـعران بالخجـل مـن سـلوكهما.. شـعرا باسـتعجالهما لمعرفـة مايـدور حـولهما.

في حالـة ضعـف أمـام بطولـة حدثـت خلـف جـدران البيـوت والغـرف، مـن صبر ينـتصر على طغيـان، وقـوة تنسـف قوافـل الكراهيـة.

عادل يقترب من سامر:

– لماذا منعتنا من معرفة ما يوجد في الغرفة؟ وما سبب الخوف؟

جَدة سامر تستجمع قواها قائلة:

– مـن أيـن نخـاف، ونحـن الذيـن قاتلنـا وتحملنـا كل المصاعـب؟ أنـا منعـت سـامر أن يخبركـم.. كـي تنجـب هـذه المسـكينة.. رب العـالمين قـد كتـب لها عمـراً جديـداً، فقـد كانـت حالتهـا صعبـة جـداً.

سـامر يقبـل جـبين ابنـه المعـاق.. يجلـس على السريـر وينظـر لعـادل ومـنير:

– سمعتما شيئاً مختلفاً هنا، وحتى وجودي معكما كان مختلفاً.. أنتما تقاتلون لتحرير القرية.. وأنا أقاتل لتحرير القرية ولرؤية جدتي وابني والعودة إلى هذا البيت.

وفي هذه اللحظات يسمعون مكبرة الصوت التابعة لرجال الحشد وهي تعلن عن تحرير القرية بالكامل من دنس وشرور المعتدين.

سامر يعانق ابنه وجدته.. المرأة الخمسينية تطلق الهلاهل (الزغاريد) وتعلو الابتسامة على محيّاها لأول مرّة منذ أن حلّت على القرية أعاصير القلق والخوف، وأخرجت من حقيبتها الصغيرة صورة ابنها الشهيد وراحت تُقبلّه.

عادل ومنير يعانقان صديقهما سامر.

ابن سامر يطلب من والده أن يخرجه من السرداب كي يرى القرية.. يمسك العصا الخشبية التي يتكئ عليها وأخذ يتشبث بأنامل والده.

وما أن خرج الى قريته ووضع رجله السليمة على الأرض حتى لمح الخراب والهلاك.

بقي واجماً لحظات ثم انفجر باكياً عندما رأى دراجته الهوائية قرب البيت.

ريــاح الشمــال

القصــة الفائــزة بالمركــز الثاني

للكاتــبة سلمى محمــد شاقــول

- سوريا -

كعادتـه كل صبـاح، يقـف أمـام المـرآة يسّرح شـعره الأسـود، ثـم يرفعـه للأعلى ويربطـه بمطاطـة فيصبـح كذيـل حصـان كما تفعـل الفتيـات، كانـت أحـدث تسريحـة سرقهـا الرجـال مـن النسـاء.

والآن بدأت الحيرة ماذا سأرتدي ؟!

قميصا مخططا أم معطفاً

...راح رجا يبعثر ملابسه هنا وهناك عله يجد ضالته.

كل يـوم نفـس الطقـوس يقضيهـا في إختيـار ملابسـه وتسريحـة شـعره وتلميـع حذائـه، كان يهتـم بمظهـره وأناقتـه جـدا.

كان رجـا رَبـع القامـة لا بالطويـل ولا بالقـصير، وجهـه مشرّب بالحمـرة وكأن الخجـل يكسـو محيـاه، عينـان سـوداوان واسـعتان كسـماء غـاب عنهـا القمـر.

اقترب رجا من المرآة يضع اللمسات الأخيرة

آه....ماهذا ؟؟؟

شعرة بيضاء يا إلهي...

آه وهذه أخرى

شعر بالضيق والحنق هذه علامات الشيب ؟؟!!

في هـذه اللحظـة وهـو يفكـر بشـعراته البيضـاء، سـقطت قـارورة العطـر الزجاجيـة، تناثـر الزجـاج وانسـكب العطـر

نظر إلى الساعة والغضب بادٍ على وجهه

يا إلهي لقد تأخرت..

أغلق الباب وخرج مسرعا.

ثمة غرفةٍ لاتتجاوز العشرة أمتار يجلس رجا خلف طاولةٍ تتكدس فوقها أوراقٌ بيضاء؛ هي معاملات المواطنين، وبالجهة المقابلة يجلس السيّد مرتضى زميله في العمل، من خلف نظارته لاحظ مرتضى انزعاج رجا وتجهمه

– مابك؟

أجابه رجا: تلك الشعرات البيضاء اللعينة،

– آه ياعزيزي لم كل هذا الانزعاج الشيب وقار..

قهقه بصوتٍ مرتفع،

سأل مرتضى: كم عمرك عزيزي رجا ؟

– الشهر القادم أصبح في الأربعين،

أجاب رجا..

– آه.. أبناء الأربعين زرعٌ دنا حصاده.

وقعت تلك الكلمات على مسامع رجا فهزت كيانه وكأنه سقط في بركة ماء.

يا إلهي مضى العمر سريعاً ولم انتبه!!

كان رجا وحيداً لأمه، قد توفي والده وهو في الخامسة ولم تتزوج والدته بعد أبيه؛ فقد كرست حياتها لتربيته والعناية به.

كان رجا مستغرقا في عمله عندما طُرِقَ الباب،

دخل شابٌ في العشرين من عمره بهّي الطلعه مشرق الوجه، وبأدب جم قدم طلب إجازة للسيد مرتضى.

- لم تريد الإجازة ؟ سأل السيد مرتضى

هل أنت مريض...؟!

لا لست مريضاً،

أريد أن ألتحق بصفوف الحشد الشعبي.

- آه صحيح لقد علمت بالأمر البارحة مساءً.

وقّع الإجازة مع الموافقة..

تفضل بنيّ.. أرجو أن تعود سالماً غانماً.

أعطاه ورقة الإجازة وهو ينظر إليه نظرات ودٍّ وامتنان.

- قلت إنك علمت بالأمر يوم أمس..؟

أيّ امر..؟! سأل رجا

- لقد أصدرت المرجعية في النجف الأشرف فتوى الدفاع الكفائي، وبموجب هذه الفتوى يتوجب على كل مقلدي المرجع الديني الأعلى سماحة السيد علي الحسيني السيستاني أن يدافعوا عن العراق وعن أراضيه التي دخلتها زمر داعش الإرهابي.

- سمعت أنها دولة إسلامية..قال رجا

- آه ياعزيزي بالاسم فقط،

لكنها أبعد ماتكون عن الإسلام الحنيف الذي يدعو لنشر المحبة

والـسلام بين النـاس،

هـذا التنظيـم منـذ نشـأته يقـوم على سـفك الدمـاء واسـتباحة المحرمـات وهتـك الأعـراض، وسـبي النسـاء،

إنه لايمت للإسلام إلا بالمظهر الخارجي فقط.

عـاد رجـا إلى المنـزل ومازالـت صـورة ذاك الشـاب الفتـي عالقـة في ذهنـه، وكلمات السـيد مـرتضى تـرن في مسـامعه

أبناء الأربعين زرع دنا حصاده.

وضعت والدة رجا الطعام وجلسا معا حول المائدة.

– أمي نحن من نتبع..؟

– نتبع ماذا...؟ أجابت والدة رجا

– في أعمالنـا وعبادتنـا وباقـي المسـائل التـي يصعـب علينـا إختيـار االفعـل الصحيـح.

– آه.. تقصد من نقلد

بنيّ....نحن نقلد السيد السيستاني

– أمي.لقد أصدر فتوى الدفاع المقدس بالأمس.

– علمت بذلك.بنيّ

– إذا المفروض أن أنفذ الفتوى

– ولكن يابنيّ ليس لدي إلاّ أنت في هذه الدنيا

مَن لي غيرك

– أمي... أرجوك اسمح لي

كانت أم رجا ممن يصلح على تسميتهن زينبية النشأة والتربية.

– كنت أود أن أطرح عليك الموضوع لكن حبي لك منعني من ذلك.فانت وحيدي وثمرة فؤادي وعكازي في شيخوختي..

– تقدم رجا نحو أمه، قبل يدها ورأسها،

دعاءك ياحنونة...الواجب واجب.

في هذه اللحظات ضاق صدر أم رجا وكأن الكون فرغ من الأوكسجين. ما إن همّ بالخروج من المنزل

– رجا...توقف

استدار رجا صوب والدته..تقدمت نحوه علقت على جيده حرزا كانت قد هيأته له بالأمس.

التحق رجا بمجموعة من مجموعات الحشد الشعبي التي تكونت بفتوى من المرجعية الدينية العليا.

هناك عند تخوم المدينة التي وصل الإرهابيون إليها وزِعت المهام على أفراد المجموعة، كان من نصيب رجا الرصد والاستطلاع.

– رجا...مهمتك مراقبة تحركات الأعداء وإرسالها إلى القيادة عبر جهاز الإرسال.خاطبه قائد المجموعة.

يجب أن تبقى يقظا وحذرا

– حاضر.... أجاب رجا

كان رجا سعيداً جداً هي المرة الأولى التي يشعر فيها أنه ذا قيمة وأنه رجل كباقي الرجال.

– رجا تعال الشاي جاهز...ناداه أحد الرفاق

بخطى رشيقة كخطى غزالٍ فتيّ نزل من فوق الساتر،

رائحة الهال تملأ المكان إنه الشاي العراقي ذا المذاق الرائع..كانت مهمة رجا تتطلب تناول الكثير من الكافيين.

تحت ظل نخلة سومرية معمرة جلس أفراد المجموعة يتناولون الشاي، في تلك الأثناء داعبت اجفان رجا نسمات هواءٍ عليلة فاستسلم لها وغط في نوم عميق.

وماهي إلا لحظات حتى حلق عالياً في السماء كان يعلو ثم يعلو والأشجار والأبنية تصغر شيئاً فشيئاً، فتح جناحيه أكثر وحلق أكثر كنسر يجتاز السحب ويرتطم بالغيوم، عصفت الريح وزمجرت حاول رجا أن يثني جناحيه ويقاوم الريح لكن الريح أقوى.

كُسِرَ جناحاه وتهاوى إلى الأرض

فتح عينيه ليشاهد يد رفيقه تهزه بقوة

– مابك رجا... لم كنت تصرخ...؟

– آه..لاشيء... أجاب.

شعر رجا بانقباضٍ في صدره، ربما هو الحلم.

حلّ الليل سريعاً هادئا

صمتٌ مطبق

حتى خفاش الليل لم يحضر هذه الليلة.

كان رجا يراقب من خلال المنظار المثبت بين الكتل الاسمنتية وأكياس الرمل التي اصطفت فوق بعضها البعض لتكّون سدا منيعا عصياً على الاقتحام

- صاح رجا إنهم قادمون.....استعدو

ما إن أتم كلماته حتى ملأ أزيز الرصاص المكان

القذائف والنار من كل صوب مابين صدّ وردّ

ضاع صوت رجا وصداه

آه... أبي...اشتقت لك كثيرا

هيا لنذهب بنيّ...لكن

أمي....

فتح رجا عينيه ليشاهد والدته وهي ترنو له بنظراتها المعهودة العامرة بالحنان والعطف وفي يدها خرقة مبللة بالماء تمسح بها جبينه المعفر بالدماء والتراب

عاد رجا من المعركة بلا قدمين

قد سرقتهما رياح الشمال.

أحد عشر كوكباً

القصـــة الفائـــزة بالمركـــز الثالث

للكاتـب مهــدي الخفاجـــــي

- العراق -

لاحت رؤوس البنادق تلمع كأنها أياد بيضاء تتضرع إلى السماء طالبة النصر. ليس ثمة في هذا المكان أثر أو صوت ما سوى أصوات وقع أقدام المقاتلين، وحفيف الثياب المضمخة بتراب الوطن وعبق الأُمهات، وهمسات أذكار وصلوات تصعد إلى أعالي السماء في ركب ملائكي بهيج.

انبلج نور الصباح مع انطلاق المقاتلين صوب قضاء بلد. أزاحت الشمس بأصابعها الذهبية سحب الغيوم الداكنة وألقت بأشعتها الدافئة على وجه الأرض فأنعكس نورها في عيون ترمي ببصرها بعيداً. هناك نحو ارض مباركة يقطنها سيد جليل من ذرية خاتم الأنبياء ﷺ. الطريق طويل ومليء بالصعاب لكن لا شيء أغلى من الأرض والمقدسات. الأنفاس تتصاعد ببطء والأقدام تبحث عن موطئ قبل ان ترتكز على الأرض فالمكان شبه خال. بعض المنازل سوّيت بالأرض، وبعضها مهجورة تسكنها الوحشة.

لقد شارفنا على الوصول. همس وليد لرفاقه.

حدق حسن في الأفق. المنازل مهجورة صامتة. فلا همس ولا حركة سوى خيالاتهم، كانوا أحد عشر مقاتلاً. وصلوا وقت الغروب الى موقع قريب من موقع تنفيذ المهمة. دخلوا منزلاً شرعت ابوابه للرياح. حولته الأيام الى هيكل رث. اناخوا الرحال هناك. بعضهم اخذ غفوة قصيرة من جلوس، وبعضهم لاذ بالصلاة واخذ يرتل ما

حفظه من القرآن الكريم.

وقف وليد عند الباب.

تبدأ المهمة فجر الغد إن شاء الله.

قال ذلك ونظر إليهم فرداً فرداً محاولاً ان يحفظ صور رفاق السلاح في ذاكرته. فربما لن يراهم بعد فجر الغد. تفحص هيئاتهم بدقة وتمعن، منهم من خط المشيب بعض خصل شعره الأسود، ومنهم من كان في اوج الرجولة، ومنهم من كان في عمر الزهور. كانوا أحد عشر كوكباً يضيئون سماء الوطن وأرضه في زمن حالك الظلمة. سرعان ما حل الليل، وهيمن التعب على معظم المقاتلين، فاستسلموا بسكينة للنوم، بانتظار انبلاج الفجر. المهمة تستهدف تحرير منطقة الجمعية الثانية التي يسيطر عليها الارهابيون، واجلاء المدنيين الذين يتخذهم التنظيم الارهابي دروعاً بشرية الى منطقة آمنة. مر الوقت سريعاً، وحسن يراقب عبر النافذة الأجواء في الخارج. لحظات ويطلع الفجر، وتدوس الاقدام رؤوس مرتزقة داعش الإرهابي. تذكر هدفه الأسمى «الشهادة» وما أعذبها من كلمة. ترك الدنيا وملذاتها من أجل تحقيقها. قبل صدور فتوى المرجعية العليا بالدفاع عن الأرض والمقدسات كان حسن يتابع بقلق ما يتناقله الناس ووسائل الاعلام من اخبار عن التهديد الذي يتعرض له العراق جراء ظهور جماعات ارهابية في المناطق التي تضعف فيها سلطة الدولة. قبيل صدور الفتوى المباركة بأيام فاتحته والدته العجوز بموضوع الزواج،

وكونه ذا دين وخلق ويجب عليه ان يكمل نصف دينه، وكان رده هو التريث في هذه الخطوة.

شدَّ حسن يده على مقبض البندقية مغالباً النعاس. نظر في البعيد محاولاً رصد أي تحرك مشبوه. الوقت بعد منتصف الليل ويصعب الرؤية في هذا الظلام. حدق طويلاً. شاهد ظلالاً تتحرك. وضع اصبعه على الزناد. جرّب أن يتبين شخوصهم ليتأكد إن كانوا من المدنيين الهاربين من مناطق القتال. انتظر حتى اقتربوا قليلاً. فجأة برزت امامه خنازير متوحشة تخرج من بين المنازل. كانت تتقدم ببطء. اقتربوا من المنزل. توقفت لبرهة. تفحصت شيئاً ما قرب الجدار. كانت تنهشه بأنيابها. حاول أن يتبين ما هو، تمعن جيداً. كانت تنهش أجساد اخوته المقاتلين! أراد ان يطلق النار عليها، لكن السلاح لم يكن معه. ارتبك! نظر الى يديه. تعجب! فلم يكن على نفس شكله وهيئته! كان طيفاً بزيّ مقاتل. اندهش! ما هذه الهيئة؟! ماذا حدث؟! جرب أن يصرخ بها! لكنها لم تسمعه. هاله المشهد وهو يتابع مدهوشاً تلك الخنازير وهي تنهش بالأجساد الطاهرة. فجأة اخترق سمعه صوت في البعيد، صوت يعرفه جيداً، لشدَّ ما سمعه وهو يرتل الدعاء. كان صوت تمار يرتفع شيئاً فشيئاً. كان يناديه بالاسم الذي طالما كان يفضل ان يناديه رفاقه به.

أبو علي.. أبو علي.. لقد حلَّ وقت الصلاة.

افاق حسن مرتبكاً فقد غلبه النعاس على حين غرَّه. نهض وذكر

الله وحمده كثيراً ثم توضئ ليؤدي صلاة الفجر. أدى المقاتلون صلاتهم جماعةً وختموها بالدعاء «اللهم اجعلني عندك وجيهاً بالحسين عليه السلام في الدنيا والاخرة». تذكر شيئاً من بشاعة ذلك الكابوس، وتحدث لوليد عنه. تسائل. كيف لبشر ان يبلغ بسلوكه العدواني حد التوحش؟ كيف له ان يتبع شهواته ونزواته حد التمتع بارتكاب الجرائم أو الإقدام على أفعال بعيدة عن السلوك الإنساني!. أتم المقاتلون صلاتهم. رفع وليد يديه بخضوع الى السماء، ونثر دعاءه لرفقائه المقاتلين لحفظهم وسلامتهم. التفت حوله. كانت عيناه تلاحق اخوته المقاتلين وهم يحملون أسلحتهم ويتهيؤون للتحرك. عيناه التي لطالما لازمت اخوته الشهداء الثلاثة، ونظراته التي يعلوها الفخر وهو يراهم يقدمون الخدمة للزائرين في طريق أبي الاحرار الامام الحسين عليه السلام. الطريق الذي ختموا عليه حياتهم بتفجير إرهابي مزدوج بسيارة مفخخة وحزام ناسف. كان وليد عائداً الى الموكب بالمؤونة التي جلبها من مخازن أحد الموالين محملاً أكياس الرز والسكر بعربته الخشبية عندما رأى أعمدة الدخان والنار تتصاعد من سرادق الخدمة الحسينية. كانت مشاهد الدم والاشلاء صادمة لوليد. في المستشفى لم يستطع التعرف إلا على اثنين من اخوته. قال له شهود عيان من خدمة المواكب أنّ أخاه الأصغر أحتضن الإرهابي الانتحاري محاولاً منعه من تفجير نفسه. لكن اللعين استطاع الوصول للصاعق بحركة مباغته وفجر نفسه. رغم تلك الفاجعة لم تنثني عزيمة وليد عن مواصلة

الخدمة في طريق الامام الحسين عليه السلام وفي أشدّ الأوقات وأصعبها. بل حتى في اوقات كان فيه القتل والخراب عرفاً سائداً في مثلث الموت.

جمع المقاتلون كل عتادهم وقبل خروجهم قرر وليد أن يترك رسالة لأصحاب المنزل يطلب منهم العذر والسماح لدخولهم بلا استئذان، واستخدام بعض حاجيات المنزل، فكتب لهم رسالة على ورقة من دفتر ملاحظاته الصغير الذي اعطته اياه ابنته الوحيدة زينب ذات الحادية عشر ربيعاً، واقتطعها ليعلقها على جدار الغرفة. زينب التي تحمل من الفطنة والذكاء ما يفوق عمرها الصغير. عندما كانت بعمر الثمانية أعوام كانت تكتب امنياتها في دفترها الصغير. لم تكن ترهق والدها اطلاقاً بالطلبات فقد تعلمت منه ومن والدتها الإيثار والزهد، وعلى الرغم من ضيق الحال لم يكن وليد يرد لها طلباً. كان يقول جملته المعتادة عندما كان يتحايل على زينب ليجلب لها ما تريد وهي -كما قالت لها أمها- تخبي احتياجاتها عنه «بنتي العاقلة تطلب وتتمنى».

كسر الصمت أصوات التكبير من مسجد مهدم عند ناصية الشارع، فظن المقاتلون أنّهم تعجلوا بمناجاة الخالق، لكن الصوت كان مصحوباً بأصوات ازيز الرصاص وزعيق الغربان. أطل صادق برأسه من النافذة ليستطلع المكان، وصرخ:

نحن نتعرض لهجوم!

قطع سكون المنزل أصوات دوي القذائف وازيز الرصاص. وارتفعت

أعمدة الدخان الأسود في السماء. مرت ساعة من تبادل النيران استخدمت فيها أسلحة متنوعة. سقط عدد كبير من القتلى في صفوف الإرهابيين الدواعش، وهوى مجموعة من المقاتلين الابطال، حتى سكتت فوهات البنادق، ونفد العتاد في صفوف المقاتلين. نظر وليد بين سحب الدخان والغبار ليتبين من استشهد من اخوته المقاتلين. شاهد تمار يحتضن مقاتلًا يلفظ أنفاسه الأخيرة. صرخ علي «يا حسين»، فردد خلفه من بقي على قيد الحياة «عليك مني السلام يا أبا عبد الله». استطاع مقاتل جريح ان يتحرك رغم اصابته. اقترب من جريحان آخران في باحة المنزل وتفحص اصابتهما وكانت بليغة جداً. انبثق أنين خافت من الغرفة المجاورة سمعه وليد وزحف نحوه حتى وصل لمصدره. وجد مقاتلًا شاباً مصاباً. مسح الدم عن وجهه، لكن أنينه انقطع بعد ثوانٍ. لمح حركة تحت ركام جدار الغرفة الذي هدمته قذيفة RBG، وسمع همساً:

وليد أنقذ اخوتنا.

احتضن حسن مقاتلًا مصاباً. حاول أن يسقيه الماء، لكنه كان متعجلاً للقاء سيد الشهداء عليه السلام. جرب أن يطلب المساندة لكن الأوان كان قد فات، فقد حاصر المنزل عدد كبير من الإرهابيين. تجمعت سحب الغيوم المكفهرة، وخيم الظلام على حين غرَّة. أيقظ سكون المكان وقع اقدام ثقيلة. تظاهر علي بالقوة فحمل بندقيته وحاول الزحف باتجاه الباب، لكن الإصابة كانت قد افقدته القدرة على الحركة. بحث وليد وسط

الـظلام عـن عتـاد اضـافي. فجـأة تسـمرت عينـاه في عينـي قـادم. عينـان غريبتـان حمـراوان تقتدحـان شرراً وشراً، واصـواتٌ تشـبه قبـاع الخنازيـر جعلـت إصبـع وليـد يتجمـد على الزنـاد. تهيـأ للمواجهـة الأخيرة. حـتماً سـيطلق آخـر رصاصـة بوجـه مـن يـقترب مـن اخوتـه المقاتـلين. الخطـوات تـقترب وعينـا وليـد تتابـع.

انه خنزير متعطش للدماء.

فكـر وليـد. وتذكـر ذلـك الكابـوس الـذي حدثـه عنـه حسـن. وقـف ذلك الخنزيـر على جثمان أحـد المقاتـلين. قَلَّبَـه. كان المشـهد يشـبه ذلـك الكابـوس تمامـاً. دنـى مـن وليـد قليلاً حتـى أصبـح في مرمـى بندقيتـه، فأطلـق عليـه الرصاصـة الأخيرة، واسـقطه قتيلاً. اجتمعـت الخنازيـر بسرعة، وسـاد ظلام حالـك. مـرّت سـاعة مـن الوقـت حتـى أيقـظ سـكون المكان صرخـة وأنين. فتـح وليـد عيناه، فبـدا كل شيء حولـه اسـودٌ قاتـم. التفـت حولـه بصعوبـة. وجـد علي جاثيـاً بقربـه. بحـث وسـط الظلمـة عـن بقيـة اخوتـه المقاتـلين. شـاهدهم يجلسـون أمامـه ويقـف الدواعـش خلفهـم. لمـع البرق وعصفـت ريـاح دافئـة. امطـرت السـماء دموعـاً سـاخنة. سـحب الدواعـش سـكاكينهم واحتـزوا رؤوس المقاتـلين، واحرقـوا جثامينهـم بعدمـا مثلـوا بهـا.

بـث الارهابيـون شريـط عمليـة اعـدام المقاتـلين. بعـد اسـبوعين تحـرر قضـاء بلـد بالكامـل مـن هيمنـة الدواعـش، وتوجـه العديـد مـن المؤمـنين لزيـارة ذلـك المـكان الـذي ظـل شـاهداً على استبسـال أولئـك الابطـال.

يقول صادق لإخوته المقاتلين وهم يلتفون حوله:

مـرت ليلتـان وانـا ملقـىً تحـت ركام الجـدار. دخلـت قواتنـا الباسـلة واخرجتني مـن ذلـك المـكان، وبعـد شـهر تماثلـت للشـفاء، وعـدت لذلـك المنـزل الخـرب مـرة أخـرى. كانـت أعمـدة النـور تتصاعـد منـه لـيلاً. شـاهد الجميـع غـزارة الثقـوب في جدرانـه، واستنشـق الروائـح الجميلـة التـي كانـت تنبعـث منـه. رائحـة دمـاء مقاتلينـا الزكيـة لم تختفـي مـن ذلـك المنـزل.

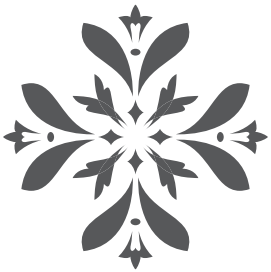

حبال الشّمس
والضّوء الشّهيد

القصــة الفائــزة بالمركــز الرابع
للكاتـب د. فاطمة مهدي البـزّال
- لبنان -

مـع حبـالِ الشّـمس ضَرب موعِـدًا، فقـد ألِفَهـا صـغيرًا حتّـى لوّحَـتْ سـحنتَهُ وأعطتْه من بريقِها ما يُناسبُ لـونَ عينيْه العسليّتين، فكان بريقُهما مـؤشّرًا إلى مـا سـيأتي. في التحاقِـه الأخير، على عجـل، جمـعَ مصطفـى[1] مـا تـيسّرَ في حقيبتـهِ مؤذنًـا بالرّحيـل، وفي فـوضى حروفـهِ المُبعثـرة، جمـعَ شَـتاتَ أفـكارهِ ونـادى: « أمّـي أيـن أنـتِ؟» ازدادَ خفقـانُ قلبـهِ، فهـو مُدلَّلهـا وعلاقـةٌ قويّـةٌ تربطُـه بهـا، يخـافُ عليهـا، يُدثّرُهـا بكـثيرٍ مـن الحـبِّ والطّاعـة والاحترام. وكعـادة الأمّهـاتِ في توديـعِ أبنائهـنَّ، رآهـا تقـفُ وقـدْ أسـندتْ ظهرَهـا إلى البـاب، بعبـاءةٍ تُجلِّلُهـا فتمنحُهـا مزيـدًا مـن الهيبـةِ والوقـار، تُناجـي ربّهـا، وكأنّهـا في خلـوةٍ مـع معشـوقِها الأبـديِّ، في عالِمِهـا الماورائـيّ، مُحتجبـةً عـن عـالم المادّة. ولوهلـةٍ لم تنتبـهْ لقدومِـه نحوهـا، فقـد كان قلبُهـا مُنشـغلًا بالمُناجـاةِ، وعيناهـا تكتبـان بالدّمـع رسـالةً إلى سـيّد الشّـهداء، تمتمـتْ بحـروفٍ لا تـكادُ تُسـمع، رفعـتْ يديهـا وأسـدلتْ رأسَـها في انعطافـةٍ تُحاكـي وضعيّـة الجـنينِ في رحـم أمّـه: «سـيدي يـا ابـن الزّهـراء مصطفـى بأمانتـك». إنّـه ذلـك التّعلّـق الوجـدانيّ الـذي يمنـحُ النّفـوسَ مزيـدًا مـن التّسـليم والرضـا. اقتربَ مصطفـى مـن أمّـه، لم يشـأ قطـعَ مناجاتِهـا، ولكنّـه الوقـتُ الـذي لا يُمهـل، وكأنّنـا في سـباقٍ أبـديٍّ معـه. طوّقَهـا بذراعيْـه وبرفـق همـسَ في أذنِهـا: «لا تقلقـي سـأعودُ بـإذن الله». قبّـل يديهـا، وشـمَّ عبـقَ الزّمـن المُختـزنِ في تجاعيدِهـا، احتضنَهـا وكأنّـه يعلـمُ في حدْسـهِ أنّ هـذا

١ – الشهيد مصطفى العذاري الذي أعدمته العصابات الارهابية شنقا على جسر الفلوجة في ٢٠/ ٥/ ٢٠١٥، ملبيا نداءالفتوى.

الحُضنَ سيغدو غريبًا كغربةِ قبرِهِ المخفيِّ في حدودِ الوطن. كيف لا، وهو آخر الشّمعاتِ الّتي أضاءتْ سماءَ هذا البيت، وأسرعَهنَّ انطفاء.

مضى على عجلٍ، كانت سيّاراتُ الرّتلِ تنهبُ الأرض، فلا مجالَ للسّير ببطء، لأنَّ عيونَ القنّاصين تتربّص، وتستعدّ للضَّغط على الزّناد عندَ أيِّ خطأ يرتكبهُ السّائرون على الدّرب الطّويل. إنّها «الكرمة» في الفلوجة، حيث شُذّاذ الآفاق يستكملون مُخطَّطاتِهم في القتل والتّرهيب، وتهجيرِ الآمنينَ وترويعِهم. زرعوا حول كلّ بيتٍ سياجًا يسحقُ ما ظلّ من ابتسامةٍ مطويّةٍ على ألفِ آه وآه. ورتّبوا جنائزَ للضّوءِ تعبرُ قنطرةَ الموتِ كلَّ صباح. وكان الفرسانُ يتسابقون إلى الميدان، على قلقٍ يُسابقون الرّيح، تُطوى المسافاتُ على حدِّ عبورِهم، يذرفونَ ما تبقّى من ماء العيونِ كُرمى لشيخٍ خضيب، أو لعذراءَ تناهشتْها ضِباع الليل فأعلنتْ دمها ونقشتهُ عند أقرب صخرة علّه يستثيرُ ما ضاع من ضمير، ويستر ما ظلّ من حياء.

السّاعة تؤشّر إلى الثانية بعد منتصف الليل. وفي هدأة ليلٍ ربيعيٍّ ما لبث أن تغيّر فجأةً، أزيز الرّصاص يخرقُ السّكون المُنتهَكةَ حُرمتُه، صوت انفجاراتٍ قويّةٍ تقترب، إنّها ساعة الصّفر. أسراب من خفافيش اللّيل في مواجهةٍ ضارية مع وحدةٍ من المُدافعين المُتشرين تلبية للنداء: نداء الحسين عليه السلام يوم العاشر «**هل من ناصر ينصرنا؟**» كان وحيدًا، شعّت دماؤه مؤشّرةً الطريق لكلِّ حرٍّ شريف. واليوم، ومع تظاهر الزّمان،

وتكالبِ الأمم علينا، لم يسمحِ الغيارى ببقاء الحسين وحيدًا، هبّوا شيبًا وشُبّانا والعِمّةُ أمامهم تلبية للفتوى المُقدّسة، مُعلنين دمهم، شاحذين همَمهم، مُدافعين مُستبسلين، يحملون الرّاية - راية أبي الفضل العباس (عليه السلام)- تُطاح في سبيلها الأيدي والهامات وتبقى مُنتصبةً، ممنوعٌ سقوطُها وليوثٌ كأمثال مصطفى مكلَّفون حمايتَها.

كانت حدّة الاشتباكات تعلو. إنّها الحرب، حامية الوطيس، انخرط فيها مصطفى لأنّه كان يحلمُ بمستقبلٍ جميل، لعراقٍ موحّدٍ، يُبنى بسواعدَ سمراءَ لا تعرف اللونَ الرماديّ المتدرّج صعودًا وهبوطًا فلا يبلغُ الأبيضَ ولا يتجاوز الأسود. أجّل عرسَه إلى ما بعدَ عرسِ التّحرير، فأنّى لروحه المُتوثّبة أن تهدأ وهو يرى اجتياح «المغول/ الدواعش» وما يحملونه من فكرٍ إرهابيٍّ وظلاميّ؟ وأنّى لغيرتهِ المُتوقّدة أن يخفّ لهيبُها وهو يرى المُخدّراتِ يُسَقْن أُسارى، يُعرضْن في الأسواق إحياءً للجاهليّة الأولى ؟ إنّهم شُذّاذ الآفاق الذين عاثوا في الأرض فسادًا، جُمعوا من كلِّ حدْبٍ وصوْب، دينهُم التّكفير، وعقيدتُهم الولوغُ في دم الأبرياء، نشأوا في حضنِ الغرب ليكونوا أدواتَهم التنفيذيّةَ على أرض الواقع. الدّين منهم براء، والإنسانيّة على جفاءٍ من سلوكيّاتهم المُنحرفة.

اندفع مصطفى ببنْيتهِ القوية، وجسمهِ الممشوق، كاللّيث الهصور، شريطُ الأحداث المأسويّة التي قامت بها العصاباتُ الإجراميّة يمرُّ ببطءٍ يجعلُه يتخلى عن هدوئه، يُستثارُ حتّى أقصى خليّةٍ يبلغُها دمُه

عند التوثّبِ والفوران. كان الهجومُ عنيفًا، استبسلَ فيه الجميع، استُشهدَ البعضُ وأُصيبَ مصطفى في قدمهِ اليُسرى، حاول التّماسك، عضّ على جراحِه ظنًّا منه أنّ الإصابة لم تكنْ بليغة، إلّا أنّ الألم أجبرهُ على الكشف عن جرحهِ فإذا به يرى جرحًا فاغرًا فاه وعظام قدمهِ مُهشّمة ممّا سيحول بينه وبين الاستمرار في القتال.

وفي غمرةِ الأحداث، جاء الأمر بالانسحاب التكتيكيِّ حفاظًا على من تبقّى أمام هذا الهجوم العنيف. ريثما يتمُّ التّجهّز بشكلٍ أفضل وإعادة المُحاولة، فالحربُ صولاتٌ وجولاتٌ والكلمة في النهاية للمنتصر. ألحَّ عليه الرّفاق مُحاولين سحبهُ وإخراجه من منطقة العمليات، إلّا أنّه أبى أن يعيقَ حركتَهم، وفضّل البقاء مُحتميًا ببيتٍ هجرهُ أصحابُهُ، مُنتظرًا ما سيأتي.

كانت لحظاتٌ مشوبة بالحذر، لم ينجلِ الصّبحُ إلا والغرابيبُ السّود قد اجتاحوا المنطقة، أرادوا تقطيعَ أوصال المدينة ففخخوا القنطرةَ التي تربطُها بأخواتها. بقي مصطفى وحيدًا، يتأمّل جدران ذلك البيت الذي غادرَه أصحابه على عجل، ففي هذه الزاوية ألعاب طفلٍ مبعثرة يبدو أنّه قد عبث بها طويلًا. «لا شكّ أنّه طفلٌ شقيٌّ»، تبسّم مصطفى، وهو يرى آثار تفكيك الألعاب إلى أجزاء، هنا المُحرّك، وهناك السّائق، وبجانبهما بعض العساكر. تُرى ما هي اللعبة التي أراد تجسيدها هذا الطّفل؟ هل كان يظنُّ الحرب لعبة فداهمته وأيقن بوجودها؟ أراد بعض الماء، فقد جفّ حلقُهُ ولكنّه لم يقع إلا على بعض

الـرز «التّمّـن» الـذي أُطفئـت تحتـه النّـار على عجـل وقبـل أوان نضوجـه. يبـدو أنّ أصحابـه لم يُمهَلـوا للتّنعّـم بآخـر وجبـة لهـم قبـل مُغـادرة المنـزل.

عـاد مصطفـى خـاليَ الوِفـاض مـن جولتـه، ضمّـد جرحـه بقطعـة قماش مُحـاولًا تخفيـف النّـزف مـن قدمـه، فقـد أعيـاه التّعـب وشـدّة النّـزف حتّـى كاد أن يُغمـى عليـه، ولكنّـه استجمع قـواه، تنـاول هاتفـه واتّصـل بأخيـه، مـا مـن مُجيـب. «ومـن يـدرِ أيـن سيكون رائـد في هـذا الوقـت، وفي أيّ واجـبٍ جهـاديّ، ومـا هـي ظروفـه ؟» تمتـم مصطفـى.

مـرّت سـاعات الفجـر ببـطء شـديد على مصطفـى، بين محـاولات الاتصـال ب«رائـد» مـن جهـة، والألم الـذي لا يقـوى على احتمالـه مـن جهـة أخـرى. لمعـت في رأسـه فكـرة كتابـة رسـالة لأخيـه على هاتفـه الخلـوي: «أخـي وقـرّة عينـي، بعـد التّحيـة والـسّلام، أُنبئـكَ بأنّـي قـد أُصبـت إصابـة بالغـة في قدمـي اليُسرى، وهـا أنـا أقبـع متخفّيًـا في منـزل شـبه مهجـور مـطليّ باللّـون الأحمـر، ممّـا يجعلـه علامـة فارقـة بين البيـوت المُجـاورة، أتدثّـر عبـاءة اللّيـل علّـه يُبعـد العيـون ولـو قلـيلا، لا أزالُ وحيـدًا، لكننّـي أسـمع وقـع الخُطى على مقربـةٍ منـي، يبـدو أنّهـم قـد سـيطروا على المنطقـة وفخخـوا الطّـرق المؤديّـة إليهـا، وهـا أنـا أجثـو وأعـدّ الخُطى جيئـة وذهابـا، غير مُتيقّـنٍ في أي لحظـةٍ سـينقضّون عليّ ويكتشـفون أمـري. أمّـا أنـا فقـد سـلّمتُ أمـري إلى خالقـي، أنتظـرُ أن يرزقنـي إحـدى الحُسـنيين، إمّـا الـنّصر أو الشّـهادة، فـإن قـرأت رسـالتي، وكان بي رمـق،

فلا تثورنَّ ولا تأخذنّك الحميّة والعصبيّة، حافظ على رباطة جأشك، وتروَّ، لأنّ المنطقة خطرة وفيها الكثير من الكمائن فاحذر، والسلام».

لاحتْ طلائع صُبحٍ جديد، ومصطفى يُعاني من نزفٍ شديد، ولا يوجد ما يسدُّ به رمقهُ ويصلبُ جسدَه المُتهالك. وبينما هو على هذه الحال، رنَّ الهاتف. إنّه رائد، أنيس الرّوح وسلوى الفؤاد، لطالما أودعه أسراره واستظلّ تحت جناحيْه الوارفيْن. تبادلا الحديث ووقْع نبضيْهما يكاد يُسمع، حديثٌ قلق، مشوبٌ بالحذر، كلاهما حلّق بروحه نحو الآخر، إنّه الانعتاق الذي لا يرتهن لزمانٍ أو مكان، انعتاق الرّوح من سطوة الجسد الطّينيّ إلى حيثُ يؤشّر القلب.

– سأوافيك حالًا فلا تقلق. كنْ حذرًا يا أخي، خفّف إضاءة الهاتف كي لا ينفد الشّحن، وتجاهل الاتصالات، فالجميع يريد أن يطمئن عليك، وابقَ مُستعدًا لأي طارئٍ قد يحصل، لقّم سلاحك، واخلع الدّرع كي لا يزيد من حملِك وتعبك. ردّ رائد.

أغلق مصطفى الاتصال، ولكن بعد بُرهةٍ، وفي ظلام الشّاشة سطعتْ أحرفٌ ثلاث: أمّي. «ماذا سأقول لها إن سألتني عن حالي وأنا لم أعتدِ الكذب عليها؟ ستكشفني لأنني لا أستطيع الصّمود أمام اختبارها طويلا». تمتم مصطفى، وهو يلوي رقبته وقد داخَله حزنٌ شديد على حالها، لكنّه كان مستأنسًا بسماع رنين الهاتف ورؤية أحرف اسمها تلتمع أمامه. وكأنه يحسّ بوجودها قربه وبدفء أنفاسها، تمسح عنه العناء،

وتضمّـد روحـه الهائمـة. وبالتفاتـة سريعـة حمـل هاتفـه، ضمّـه إلى صـدره مُغمضًـا عينيْـه، أخـذ نفسًـا عميقًـا، وردّ على اتّصـالها: «يمـه، أروحلِـك فـدوة لا تقلـقين ولا تضـوجين مـا بقـى شي وأنـزل، لا تخلّي ببالـك». بعـد أن مازحهـا وطمأنهـا على نفسـه، مُتقمّصًـا دور مُمثّـلٍ أتقـن دوره بامتيـاز.

ومضت ليلة أخرى أرختْ بثقلها على مصطفى، مع زائريْن غير مرغوب بوجودهما، اتّخذا من شرفة المنزل مركزًا للقنْص، ممّا أعاق تحرّكه، وأحصى عليْه أنفاسَه. حدّثته نفسُه بالتّخلّص منهما إلّا أنّ اتصالا من رائد حذّره من انكشاف أمره قبل أن يُتمّ اتّصالاتِه مع القيادات طالبًا الدّعمَ لإنقاذه.

وهـا هـي ليلـة تمـرّ كسـابقتها ومصطفـى يُناغـي جرحـهُ، يُحـاولُ أن يُصاحبـهُ، فيقـصّ عليـه رحلـة الجـوع والعطـش، ورحلـة بلـدٍ مزّقتْـه الحـروب، فاللّيـل طويـلٌ ولا بـدّ مـن السّـمر. ومـن لـه غير الجـرح يُسـامرُه، ويقـصّ عليـه رؤيـاه؟ فالجـراح خـبيرة بتأويـل الـرؤى، تُخبرنـا عـن شـقائق النّـعمان الـذي ينبـتُ إثـر سـقوط كلّ شـهيد. عجبًـا لهـذه الـورود الحمـراء! أنّـى لها أن تعـيَ فلسـفة الشّـهادة وقُدسـيّتها لتطلـع علينـا وقـدْ زيّنـت الأرض وألبسـتها تـاج العـزِّ والفَخَـار؟

الأمل بدأ يتضاءل بالحصول على معونة، والوقت لم يكن في صالح مصطفى مع وجود ارهابيْن يُشاركانه السّكن. وفي قرارة نفسه بات مُقتنعًا بوجوب القيام بعملٍ ما. فأن يموت فداء للأرض والعِرض، تحت وهج الشّمس، أشرف من الموت مُختبئًا، وطعم الموت في أمرٍ عظيم لا يُضاهيه أيّ

شيء. ألم يقل الشّاعر: «**والجود بالنّفس أقصى غاية الجودِ**».

قرّر مصطفى وضع حدٍّ لما كان فيه، وها هو الهاتف يرنّ من جديد. إنّه الاتّصال الأخير مع رائد، وكان عليه أن يختبر بأس أخيه وشجاعته، فوجده على قدر المسؤوليّة، يفكّر بحكمة ورويّة، قمّة في الانضباط، وعندما تيقّن من جهوزيّته، أعطاه الإشارة لتنفيذ العمليّة، على أن يلتقيا ناحية البزل من الجهة المُقابلة.

إنّها اللّحظة الحاسمة، تحسّس مصطفى موضع الجرح، محاولًا الوقوف على قدميه، لقّم سلاحه، وصوّب باتّجاه القنّاصيْن، بعدها علتْ رشقاتٌ، وارتباك في صفوف الدّواعش ظنًّا منهم أنّهم مُخترَقون. أصوات الشتائم كانت تعلو وكلٌّ منهم يُحمّل الآخر مسؤوليّة الاختراق وتهاونه في تمشيط المنطقة. فقد دبَّ الرّعب في قلوبهم. وبين هذا وذاك وقع مصطفى أسيرًا.

أرادوه حيًّا، استنطقوه فلم ينطق إلّا بالحقّ، صدر الحُكم الباغي. حملوه في سيّارةٍ مكشوفةٍ، يستعرضون به شوارع المدينة. كانت عيناه تتكلّمان وتُفصحان عمّا أضمره القلب.

جنديٌّ جريح لم تبتلَّ شفتاه ولم يذق طعم الزّاد منذ ثلاثة أيام، أعياه نزف جرحه، وتشقّقت شفاهه من شدّة العطش.

كان مصطفى غارقًا في التأمّل متفرسًا في وجوههم، محاولًا معرفة سيكولوجيّاتهم، فلم يقع في نظراتهم إلّا على عيون أهل الشّام وهم يقيمون الاحتفالات مبتهجين بالسّبايا والغنائم، إنّها النّظرةُ ذاتُها، تنمّ عن حقدٍ

دفين، تشرّبته نفوسُهم الصدئة، فهم امتدادٌ لتلك الشّجرة الخبيثة التي قتلت الحسين عليه السلام بُغضًا بأبيه. كان يُناجي في سرّه وكأنّه في عالمٍ آخر، وقد ضُرب بينه وبين النّاس حجاب «**سيدي يا أمير المؤمنين، إقبلني جنديًا في جيشك، وعلى نهجك، وليكنْ موتي مؤشّرًا نحو الحقيقة، في سبيل الله وعلى ملّة رسول الله**». رغم كلّ الألم كان مصطفى ثابتًا، رافعًا هامته، لم يُرَ مُطأطَأ الرأس قط، وصولًا إلى الجسر اللعين.

آهٍ أيُّها الجسر! لنا معك تاريخٌ طويل، يوم أخرجوا « الغريب» من مطاميرهم شهيدًا، كانت العيون تحملق به ولا تجرؤ على الاقتراب. وحده الطّبيب النّصرانيّ قال: «أليس لهذا الغريب عشيرة تطالب بدمه؟ لقد مات مسمومًا».

ثلاثة أيامٍ ومصطفى يُعانق السّماء، مُعلّقًا بحبال الشّمس، مرفوع الرأس، مواسيًا الحسين عليه السلام، بوجهه الوضّاء، بجرحه الرّاعف، مُيممًا وجهه شطر العراق، يُصلّي صلاة الغائب باتّجاهات أربع. وأضحى مخفيّ الأثر[1]، تزوره الملائكة، وكلّ قلبٍ أحبّه وأهداه سلامه من البعيد.

تقول الرواية: «**سيأتي من يأخذ بثأر المظلوم بكربلا من غير غُسل ولا كفن، ويطالب بحقّ الغريب على جسر بغداد، ويُصليّ ركعتين عند القبر المخفيّ في البقيع**».

١ – عثر على قبر الشهيد بعد تحرير الفلوجة، بعد القبض على قاتليه.

المهمة

القصة الفائزة بالمركز الخامس

للكاتب حسين النعمة

- العراق -

«**استوحدوه.. فصار أمّةً**» عنوانٌ يخطه المقاتل «محمد» (من قوات لواء علي الاكبر عليه السلام اثناء عمليات إجلاءِ الناجين من بطش عصابات داعش الاجرامية في قرية «ياسين الحلبوص»، غرب ناحية تل عبطة التابعة إداريا إلى قضاء الحضر في محافظة نينوى)[1] فلم يبخل بجهده البتة عن تدوين انتصاراتهم وبطولاتهم ويقربها من واقعة الطف، وكان كلما سنح الوقت له اقتنص منه ما يستطيع ليغازل مدونَته بسطور مدادِه عن جهادهم وبسالتهم.. وفي خضم الواجب اسرع بتهيئة ما يقع عليه وأكمل تجهيزاته قبل الآخرين استعدادا لتنفيذ مهمة خاصة كُلفَ بها ضمن فصِيل مُكلَّف بنجدة أسرى القرية.. فسرق بعضا من وقته وكتب مجلجلا في مقدمة تدوينته عن واقعة كربلاء، كيف استوحد القوم الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء؟ فصار أمةً وشعارًا لكل الاحرار: (**سيتجلى عراقنا كما الذي ضمِّ جسده الطاهر منذ يوم عاشوراء، فأزيز الخفافيش التي راودت الضياء.. وتجرأت على وأدِ الصباح.. لا زالت تسدل ستار حكاية ديمومة ليلٍ يطير إلينا بأجنحة الحقد والنقمة..**).

أما صاحبه «زيد» يشاهده منهمرا بالكتابة بينما ينشغلون هم بتهيئةِ عدَّتهم للمهمة المكلفين بها، فاستغرب منه وانتقدَ عملَه وبادره باستفزاز:

---

١ - احدى العمليات الاستباقية الباسلة للواء علي الاكبر التابع للعتبة الحسينية المقدسة في اغطسس سنة ٢٠١٦ نشرت خبرها وكالة نون الخبرية تحت عنوان: لواء علي الاكبر يجلي نحو ٤٠٠ عائلة غرب الموصل.

– كاتبنا المُبجَّل، اسمعت الأخبار فما أهمية ما تدوّنه؟ اذا لم يستمر الحشد؟..

على روية وعن دراية يلتفت «محمد» إليه ويفحمه بجوابه الذي سمعه باقي الفصيل بما فيهم آمرهم:

– الأشياء الصادِقة يا صديقي فقط هي التي تَستمر (الأشخاص.. المَشاعر.. الاهتمام.. جميعها)، لو انقطعت فَأعلم أنها كانت منذ البِداية كذباً وإدعاءً، نعم.. إنّ الاستمرار والثبات للصادقين إن أحسنوا الاختيار في كل شيء يا صديقي.

تقهقه «زيد» ثم رمقه ورام أن ينهي حديثهما بقهقهته هذه، فوقت الاستراحة شارف على النفاد، فما لبث «محمد» أن ينهي قهقهته مربّتاً على كتفه بحنوٍ وهو يقول له:

يا صديقي في العراق (عمامة).. أذا تحدثَ ملأهُ حشدا.

يقفان أمامَ آمر الفصيل ويزأران مع البقية كالأُسْدِ مستعدين للانطلاق الى المهمة التي كتب عنها محمد فيما بعد:

سنرمي أحجارنا لنعكر مجرى نهرهم الصاخب، ونشكل دوائرنا غير المتلاشية.

لا زالوا يسيرون قاطعين مسافات طويلة خارج بلدة تل عبطة وبحذر ورويّة بين منحدرات وهضاب حتى وصلوا أراضي سوداء كانت لمحروقات الحنطة والشعير التي اضرمها ارهابيو داعش، فباتوا على مقربة من القرية، وقبل أن يلجؤا الى ركام بيت مهجور حذّرَ آمر الفصيل من

المفخخات والكمائن ووجه أمرا لأبطال الجهد الهندسي بالكشف عن المنطقة وجمع المعلومات، وهنا سنحت الفرصة لمحمد بأخذ القليل من الوقت للتدوين:

نقضي العمر بحثا عن مفاتيح لندخل الى أناس لا ابواب لهم، ثم نأتي الى نجدتهم، لأن فينا ملوحة هذه الارض، وهذا قلبه من ورقٍ (مشيرا الى «زيد» وهو متبسّمٌ).. فهو لا يخشاهم؛ أو يشفقُ على جهالتهم عمّا نضحي به من أجلهم، فكيف نمسحُ خيانة جهالتهم وأكثر ما يمزق الورق الأبيض، عنف المحاة!، فهم شركائنا في هذا الوطن؛ لكنّ بينهم مَنْ هُم أشبه بذاك الغصن الذي غادر الشجرة فعاد إليها فأسا، أمّا الأمل فما زال مُتّقدا ويوما ما ستأتي رياح الحقيقة.. لتعصفَ رمادَ الكذب الذي غطى وجوههم، فأكثر ما يقتل الروح ذاك الكلام الذي لا نستطيع البوح به.

يربّتُ «زيد» على كتفه بحنوٍ، ثم يقول له:

الناس يا صاحبي تحفر عيوبك على النحاس.. ويكتبون كثيرات فضائلك على التراب، لكنّنا نمتثل لفتوى مقدسة وواجب مقدس وإرادة صادقة لدحض العدو، ونجدة أنفسنا كما قالها سيدنا المفدى (دام ظله الوارف).

رجع ابطال الجهد الهندسي بعد كشفهم عن سلامة الطريق، لكنّهم نقصوا بطلا، عاجلا ما استفهم عن غيابه آمرهم (أين هو؟)،

ليسرد الباقون أنه استشهد اثناء معالجته لعبوةٍ مفخخة عند باب البيت المهجور، ولم يبق منه سوى ذكرى بطولته، ووصية له جعلها أمانة في اعناقنا اذا عدنا، فحوقل وكبّر الجميع ثم حزموا امرهم بالتحرك نحو الدار المهجورة التي تأمنّت، فعجّلوا بالذهاب إليها وتهيئة أمور العملية، لكن هذا الحدث أضرم ثورةً عارمةً في «محمد» للكتابة عن زميله الشهيد:

انه ما عندي خيم حركوهن وضحيت ولا عندي اخت مشوها مسبية

انه النـــاذر شبـــاني لأجل الديـــن وبأربعتهم ضحيت بيوم المنية

خشى أن يصبح الوطن تابوته، فما كانت له حتى جنازة؛ بل ذكرى هي وصية أبى أن يواريها – (فذاك الشهيد الباسل هو رابع الأبناء الشهداء لأبٍ كبير القلب واللب)، كان قد كتبَ بيتا شعريا لوالده طلب أن يرسل هذا البيت لأبيه حتى يواسيه ويذيعه أينما حلَّ:

ما إن دخلوا الدار اخرج آمرهم مخططات وخرائط جمعهم حولها وبيّن خطته لنجدة الاسرى وإجلائهم من سطوةِ الارهابيين، وختم قوله:

ليعلمَ جميعكم.. قبل أن تخوض حربك، تأكد أن الخصم يستحق أن يكون نِدك، وهؤلاء هم أشقياء هذا العصر ونحن سنكون معاول دفنهم.

وعلى مقربة من القرية انطلق من الفصيل بطلان كربلائيان ودخلاها متسللين الى كنف احدى الدور في القرية ومنه الى أسطح الدور الأخرى؛ وكان أحدهما صغيرا أبن الثامنة عشر ربيعا والآخر في عقده الثالث من

العمر، وقد كلفهما الآمرُ بجمع المعلومات والعودة بعد (٢٤) ساعة، إلا أن للقدر شأنا آخر ليوقعهما في الأسر لدى ارهابيي داعش فيسوماهما سوء العذاب بغية أن يتكلما.. لكنّ صبرهما تجلّى على ما يلاقياهُ من تعذيب، فبرز لهم شقيٌّ بلحية كثة يرتدي ملابس من زمن الجاهلية واضعا قلنسوة حمراء على رأسه، راح يجرَّ بالمقاتل الصغير من نهاية حبلٍ ربطوا فيه يديه الى الخلف وهو يفتعل ضحكات الضباع ثم جعله في كومة قش لحرقه أمام صاحبه فضرم بيده فتيلا وألتفت الى الثلاثيني يستجوبه عن بقية الفصيل؟ وهدده إن لم يقل حرق أمامه هذا الشاب، أو يقول له لتشملهما رحمة الامير.

يقطع نعيقه ذو الثمانية عشر ربيعا:

متى كان الظلم هو الرحمة..

احرقوا الصغير وسيغرد الكبير أين هم الباقين؟

لكنّ بينهم من أراد التلذذ بقتله فهو أكثر وحشية وقسوة، فوجه بحرقة وهو معلق على مشنقته.. فقطع الصغير بعمره الكبير بعقيدته أحاديثهم المشؤومة بصرخته وهو متجهّم: «**هيهات منّا الذلة**»، وألتفت الى صاحبه الثلاثيني قائلا:

ان أنا استشهدت فأرجوك قمْ بزيارة امي العجوز في القرية وأخبرها اني استشهدت ببسالة، وأني كنت توّاقا لسماع صوت صغيرتي نرجس.

تقطع حديثه لكمة حاقد بينهم، وفي اخر لحظة قبل أن يضرم أشدهم خبثا النارَ في القش وهو معلقا ينتظر الآجال، يصرخ بهم خادم أميرهم

وهو يدخل بخطوات قدميه الطويلتين:

لا تفعلوا فيضيع أجرنا.. إن لهما تدبيرا أعده الامير.. فجهزوهما وضعوهما في المركبة سآخذهم بنفسي إليه.

مرّ أكثر من ثلاثين ساعة على المهمة الاستكشافية والفصيل كان قد اعد كمينه على الطريق للانقضاض على دوريات داعش بعد أن قطعوا الامل من نجاة بطليهما.. وبينما هم على أهبة الاستعداد تصل سيارة الخادم فيرشقونها بالرصاص ويقتلون من بادلهم اطلاق النيران ثم تقف السيارة على بُعدٍ ويركضون نحوها ظنا منهم ان الامير بداخلها لكنّهم يعثرون على صاحبيهما الأسيرين مكبلين ورأسيهما موشحين بأكياس سوداء.

وجراء رمي الرصاص انفجرت اطارات السيارة وفقد السائق السيطرة فاصطدام بشجرة ابطأت سرعتها؛ وارتطم رأس السائق والخادم بالزجاج ثم برأس كل منهما ففقدا وعيهما.. فيما قُتِلَ جميع من كان في صندوق السيارة المكشوف؛ وأنجدوا صاحبيهما المقاتلين.. وهنا محمد سطرَ عبارته:

جئناهما كالرياح في وقت هما كالجمر فحرقنا لأجلهما الجميع.

وقبيل رفع الاكياس السوداء عن رأسيهما ظنّا أننّا سنحزُ اخر ورقة من اوراق عمريهما بدون أن ينبسا ببنت شفة، فيتشهدا في هنيهة كانت الاطول بلحظاتِها في حياتِها ومع شهادة التولية بعد اكتمال ازالة الكيسين عن رأسيهما تجتاحهما فرحة تغمر محياهما وتطفئ نار الشوق للشهادة في

احدهما، لكن بطلنا الثلاثيني كان يصارع الحياة فثمة قطعة حديدية مزقت أحشاءه وتركنا على اثرها شهيدا محتسبا..

لم يقبل الشاب التخلي عن مهمته والذهاب؛ بل الرجوع لتحرير اللواتي وصلن للمقر قبيل خروجهما منه وطلب من آمر الفصيل بإنجاز المهمة وتحرير الاسرى، فكانت نخوته وشغفه لإتمام المهمة ما سرَّ آمره، فطلب من باقي الفصيل تطبيبه ونقل زميلهم الشهيد الى مركبة اخرى، ثم التهيؤ لساعة الصفر، وراح «محمد» يقطف كلماته لمدونته عن بسالة زميليه الذين عاد احدهما للتو من الأسر، وشدّه أكثر موقف استرسال ذي الثمانية عشر عاما بالحديث عن ايصال سلامه لوالدته العجوز وابنته نرجس، ظنّا منه أنها اللحظات الاخيرة من حياته، فاجتاحته رياحا عارمة بأنه سيمضي شهيدا:

بينما ارتدي ديباج الشغف.. ولا تسعفني قواميس البلاغة.. للتشكُر ممن أنعَمَ عليَّ بشرف خدمته، شكر وثناء لا يفيه حقه وعطاءه.. انا ذاك الصغير الذي كَبرَ بالحسين(عليه السلام).. فمن أيّ أبواب الثّناء سأدخل إليه، وبأيّ أبيات القصيد أعبّرُ له، وعن جوده وأكفّه للمكرمات كيف أسطر؟.. فليست كل ألسني تفيه!!!.. ولا أحرفي تملُّ عن أماني شفاعته.. لكنّي رجوته ودعوت الله به أن تكون طفلتي التي تأكل حزني كله بضحكتها، تحت عنايته ومن محبيه وخادماتهِ، فقلبي يشتعل انتظاراً لسماعها، وصبابتي للقياها مورقة وإن كنت معلقا بمشنقتي، فالانتظارُ حبسني داخله وأسرَ مشاعري كورقةٍ

خضراء تداعبها هبات رياح قاسية وسط صحراء الاماني.. فاشتاقها حدّ اليباسِ، ولا يرويني شيئا سوى قولها: بابا.

بعضُ الناس يمتلكون رؤوسا لا يستفيد منها سوى الحلاق، وهؤلاء حتى الحلاق لم ينتفع منهم، كلمات الثلاثيني لأبطال الفصيل بعد سؤالهم عن ارهابيّ داعش، فقهقه الفصيل وحدّثهم الآمر:

أحيانا.. عندما تجتاحك بعض المعارك تصبح أنت الجيش والمحارب والقائد في آن واحد.. لتعلمك أن القدر لا يهب المعارك إلا للأقوى، لذا حدثوني أين هو مكان الأسرى قبل مجيء المزيد من ارهابي داعش..

كل لحظة تمر في هذه المهمة الخاصة لا يستطيع محمد ألا تدوينها أو يكتب عنها شيئا، وهو يتساءل أين العالم من هذه الجرائم:

ضجيجُ صمت العالم يؤرقنا، وصمتنا عنهم يضج بالكبرياء، أولئك الأدعياء يقتادوهن سبايا، وسياطُهم تصلي عليهن متى شاؤوا..

و «محمدٌ» لم يكن مقاتلا فقط؛ فهو يبحث في ذاته عن اشتعالات أُخرى، يهبُ بها للتاريخ أحداثا حقيقة لم يشوبها شيء ولم يشوهها بعد اي حاقدٍ فهي مفخرة للأجيال القادمة بما حققه ابطال الحشد والقوات المسلحة من بطولات ومواقف انسانية لا يمكن أن يشوهها الاخرون، فكان قلمه يسطّرُ كل خطوة في مهمته الخاصة ويدعو أن يكون له شبيها في باقي الفصائل ليوثقوا ما ينجزونه، كما وجهت المرجعية الدينية العليا..

قبل المباشرة بخطة الهجوم لتحرير الاسرى، ارسل الآمر اشارته الى

قيادته بطلب التعزيزات لنقل من سيتم إجلائهم من القرية المنكوبة، ومع ساعة الصفر استبسل جميعهم وانقض كل منهم يصطاد فريسته ببراعة ودون ان يشعر العدو بحركتهم، وبين البيوت بيتا جعله الارهابيون مقرا لقتل وتعذيب من يأسرون من الرجال وهم يقفون على نحرِ مواطن حاربهم حتى قُتل جميع ابنائه وابناء قريته أمامه وبقي وحيدا مع النساء، وكأنه ذبيح بث فيه الله قوة استبسال حتى خشاه كل من همَّ لذبحه.. فباغتهم آمر الفصيل برشقة رصاص اقبرتهم جميعهم، وانقذ الرجل، فكثرت المشاهد وتصدعت النفس بوحشية هؤلاء واحمرت الخطوات في القرية من التنقل بين بيت وآخر لإجلاء الأسرى في عين محمد، فكتب:

ذبيح يرعبهم، ونساء تثبرهم، فيهرعون الى قتلِهم دون منازلتهم، أوباش قهرناهم ببأسنا لكنهم علمونا اننا لا نُكسر، وأنه لا يوجد جهازٌ لقياس الوفاء ادق من المواقف، وعلمنا الاسر أن لا نكون عصا بيد الاعمى؛ فأن اول شيء يقدم عليه هو كسرنا بعد ان يرى، فآلينا ان نكون وحيدين في طريق الحق لا قادةَ سربٍ في طريق الباطل.. ولا زلت اقطف من المهمة الخاصة، فنحن الذائدون تقبلنا الاسرى حتى قالوا فينا: من يتقبلك وانت منطفئ يستحق كل الحب والاحترام.

وصلت مركبات كبيرة من اللواء لنقل عشرات الأسرى من قرية «ياسين الحلبوص» واجلائهم الى اماكن أكثر أمناً، فانحنيت مع باقي الابطال لنكون سُلّماً تطأه أقدام الاسرى للصعود الى المركبات، وجعلنا

مركبة منها لنجدة الحيوانات ايضا، وقبل مغادرتنا القرية ذهبتُ مسرعا الى السيارة التي فيها زميلنا الشهيد الثلاثيني، وكان فائضا بدمه، وقبل تشغيل السيارة صعد معنا زميلنا البطل الذي رافق الشهيد في المهمة الاستكشافية واخبرني انه مطمأن لأن في بيته زوجة صالحة ستكون هي الاب والام لأسرته.. وراح يحدثني عن صبره وتحمله وكيف ارعبت نظراته الحادة صغار داعش، ومنها تجلت صورة ولا اروعها عن نخوة أرملته فكانت آخر ما دونه محمد في مهمته الخاصة:

مكانه يبقى فارغا.. وفراغه أجمل الحاضرين.. تمتمة أرملته التي تضع مصروف أيتامه في ثيابه المعلقة لتطمأنَهم انه لا زال يغدق عليهم بخيره.

(حي ميت جيبك ينطيني)

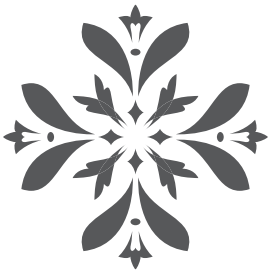

حيثُ يُريدني الوطــــــنُ

القصــة الفائــزة بالمركــز السادس
للكاتـب باسـم حبــوب العـذاري
- العراق -

أجـواء مشـحونة وغريبـة، أشـم مـن خلالها رائحـة خـوفٍ وانكسـارٍ في أغلـب الأمكنـة، ووجـومٍ محيّرٍ أجـده في الوجـوه، السماء يخيّـم عليهـا حـزنٌ غريـبٌ، الطيـور لم أعـد أراهـا محلقـةً منـذ مـدة، والريـاح سـاكنةٌ مـا عـادت مثـلما كانـت، فالأشـجار العاليـة هادئـة، كصـورةٍ جامـدةٍ على الجـدار لا تتحـرك أبـدا.

تلـك الأجـواء الملبّـدة بالفجيعـة والسـواد تجرعتهـا سـنوات المحنـة والحـروب العبثيـة الطويلـة والبغيضـة التي ابتُلينا بهـا وأرغمنـا على خوضها.

في الحافلـة الصـغيرة التـي توصلنـي للبيـت، أبصرت حيرة جليّـة في الوجـوه، العـدد الأكبر مـن الجالـسين التـزم الصمـت، فلـم ينبسـوا ببنـت شـفة، والبقيـة يعلنونهـا صريحـةً دون حيـاء، وتماهـى السـائق معهـم وهـو يـزم شـفتيه بقـوة متهـكماً بيـقينٍ مطلـقٍ:

- من أجل مَنْ نموت؟

لم أستطع السكوت أكثر، حين وجدت من يوافقه على ذلك:

- ليس من أجل أحد نموت، بل لأننا جميعا في ذات المأزق.

- سنذهب إلى الجنوب، فهناك لن نخشى شيئًا مما سيحدث.

ذلـك الجـواب السـاذج سـمعته كـثيرًا وكأن أحـدًا مـا غرسـه في أدمغتهـم دون إدراك خطورتـه، شـعرت بالاختنـاق والمـرارة في قلبـي ولسـاني أيضًـا، المـؤلم جـدًا أن المشـهد يتكـرر دائمًا معنـا، يبـدو أننـا لا نتعـظ أبـدا طـوال الوقـت، فخديعـة رفـع المصاحـف، والتسـليم بلا قتـالٍ والجيـش الـذي لا

يقهر عنواناتٌ لا يمكننا تجاوزها، ولا ينفكّان يتعكزان على تلك العقول، فما الذي يمكنني فعله وقلبي الصغير يكاد يتمزق من إدراك ذلك المأزق الكبير، فقلت له:

- أنت واهمٌ، لا مكانَ آمنٌ لكم حين تسقط بغداد بأيديهم.

المربك أكثر تلك القنوات الصفراء التي تبث سمومها وتنشر أخبارًا مضللةً عن تساقط المدن أمام أصحاب الرايات السوداء وتقدمهم كل ساعة كما يزعمون، حتى المدن التي ما زالت صامدةً تعلن عن سقوطها لإرهاب الآخرين فتضعف عزيمتهم ويتركونَ أمكنتهم وهو ما نجحت كثيرًا في فعله.

في الجهة المقابلة لا تقدم القنوات الأخرى الكثير لتخفيف العبء عن الناس، وكل ما تبثه أخبار هامشية لا علاقة لها بما يحدث، فالإرباك واضحٌ في كل ما يتم تقديمه فيها، مرت في خلدي الساعات الأخيرة لسقوط أحد الرؤساء العرب، كانت القوى المعارضة له تتقدم بشكل مضطرد فتتساقط مدنه الواحدة تلو الأخرى، وتترك قواته مواقعها إلى غير رجعة، الذي لفت نظري كثيراً هي تلك المشاهد التي ظلت قناته الرسمية تعرضها في تلك الأثناء، مشاهد قديمة ومملة عن عالم البحار! ربما وضعوا آلية تعيد هذه المشاهد وغادروا المكان، حينها تأكدتُ من نهاية حكمه، وأنه ساقطٌ لا محالة.

ذلك الخاطر شعرت به وأنا أبصر مشاهد شبه معادة لا تغني عن

جوع، لكن لا خيار عندي سوى ترقّبِ شاشة التلفاز لعل شيئًا يحدث في لحظةٍ ما، كانت نفسي معلقةً بخطبة الجمعة ففي الخطبة الماضية طالبوا القطعات أن تبقى صامدة في مواقعها ولا تتراجع مهما يحدث.

قلبي حدثني أن هناك شيئًا مختلفًا في هذه الجمعة، فالوقت يداهم الجميع والدواعش على أبواب بغداد، كانت لغة الخطاب مختلفةً تتصاعد بصورةٍ كبيرةٍ عما سبق، وفيها الكثير من العزم والبأس، ثم أعلنت بشارة الفتوى....

تلك الطاقة الإيجابية الجبارة أحيتنا من جديد، وأرجعت النبض لنا وللوطن، وانتشلته من حالة الغيبوبة التي مر بها لبعض الوقت، صار كل شيء ينتفض في الشوارع، حتى التراب تحت أقدامنا تحرك واضطرب، وعادت البهجة والابتسامة على وجوه الجميع، بعد أيامٍ من الانكسار والحزن والترقب، ودون شعورٍ وجدتُ نفسي أمام إحدى محطات التطوع، أزاحم الكثير في صعود الحافلات التي ملأت المكان، لم ألتفت أن أهلي سيفتقدونني بعد ساعاتٍ قليلة، لا بأس سأتصل بهم وأخبرهم أنني ذاهبٌ هناك حيث يريدني الوطن.

جميع مَنْ بالحافلة مبتهج مثلي، وكأننا ذاهبون لحفل عرسٍ قريبٍ لنا، توقفت جموع الخفافيش عن التقدم فور سماعهم نبأ الفتوى، وأصابتهم في مقتل، فتراجعوا كثيرًا دون قتالٍ يذكر من بعض الأمكنة التي استسهلوا دخولها، البعض صار يدرك أن البساط تم سحبه من

تحت أرجلهم، وأنهم خدعوا بقوة، صارت الشوارع المعبدة رمالًا متحركةً تبتلعهم من كل مكان، وظلوا متحيرين كيف بمقدور رجلٍ واحدٍ ناهز التسعين وبكلمةٍ واحدةٍ إحياء وطن بأكمله، ويعيد رسم الخارطة، رجل كبير يعيش بين جدران صغيرة لم يتخطاها منذ سنوات.

بعد التحاقي بشهور وفي إحدى المعارك أضعنا طريق العودة، الظلمة ووابل الرصاص والمخاتلة من بيت إلى بيت ومن شارع إلى شارع جعلني ورفاقي الثلاثة في متاهة لا نستطيع الخروج منها، ربما اندفاعنا الذي حذّرنا منه آمر فصيلنا هو السبب في ذلك، كنا ننطلق قبل الجميع ولا نلتفت إلى الوراء، فلم نجد القوة التي جاءت معنا، كانت الطرقات متشابهة، وأدركنا فيما بعد أننا سرنا كثيرًا، وابتعدنا عن البقية، التحصن بإحدى البيوت الفارغة بات خيارنا الوحيد، لنرتاح فيها وننتظر تباشير الصباح لعله يدلنا على الوجهة الصحيحة.

بعد ساعات سمعنا أصوات همهمةٍ قريبةٍ، يبدو أن هناك من فطن لوجودنا، فلم يكن أمامنا سوى القتال، بعد ساعة استشهد رفاقي وبقيت وحدي أعاني من إطلاقة أصابت فخذي الأيمن ونفذت من الجهة الأخرى، كان الألم قويًا لا يحتمل، فلم أستطع النهوض، دخل بعضهم المنزل وأحاطوا بي من كل مكان، ثم تحسسوا أجساد أصدقائي خشية أن يكونوا ما زالوا على قيد الحياة، وقيّدوا يدي من الخلف وأجبروني على المشي أمامهم رغم كل ما أعانيه، كانوا يريدونني حيًّا، لذلك عمدوا لقطع

نزيف جرحي بخرقة قديمة، ثم أجبروني على ركوب سيارة حمل صغيرة واقتادوني معصب العيون إلى مقر لهم خشية أن أستدل على الطريق.

في الصباح وضعوني في سيارة حمل كبيرة وأزالوا العصابة عن عيني، بعد دقائق وجدت نفسي في شوارع المدينة والناس تصطفّ حولي وكأنني كائنٌ من كوكب آخر، ألف خاطر دار في مخيلتي وأنا أبصر تلك الصورة الحزينة، وعيناي تنظران إلى البعيد، حيث أمي العجوز المتعبة المترقبة عودتي وهي تتلفت دائماً صوب الباب لعلني أطرقه فلا أجد من يفتحه لي....

أي مرارة ستشعر بها حين تعلم أنني مررت بذلك الموقف.

حين اقتربنا من ذلك الجسر الكبير قاموا بإنزالي بعد أن وضعوا حبلاً متيناً حول رقبتي، كانت العقدة الكبيرة موجعة حين تضغط على رقبتي، ثم رفعوا أيديهم وتركوني معلقا في الهواء.

كان ضغط الحبل يزداد أكثر وتلك العقدة الملعونة فيه تخنقني جدًا، فاقتربت حمامة صغيرة ورفرفت على وجهي، شعرت بالهواء يعود إلى رئتي من جديد، هواء منعش لم أستنشق مثله في حياتي، وسمعت أصواتًا مبهمة متداخلة لم أفهم منها الكثير، وأيدٍ كثيرة تحملني، كانت خطواتهم سريعة، أدخلوني في ممر ضيق، جدرانه وسقفه متشح بأغطية قطنية بيضاء تشبه الملاحف الصغيرة متشكلة مع بعض، المحير أنها مغموسة بالدم بشكل لافت يكاد أن ينفذ منها ولكن شيئًا ما يمنعه

من ذلك، ولو وضعت يدي عليها ستعود مبللة بالدم، لم أبصر في حياتي شيئاً مثل ذلك، ثم أدخلوني في مسلك آخر يشبه الأول في كل شيء، ثم آخر، كانت المشاهد تتكرر مرة أخرى في ذلك الممر.

حين فتحت عيني أخيراً وجدت سحابة بيضاء تظللني وصوت دافئ يحدثني:

- ترجل أيها الفارس فقد آن لك أن تستريح أخيرا.

- وهل انتهى ذلك الطريق المضمخ بالدم؟

- نعم، لقد تخطيته بسلام، فهنيئا لك، ولكن هل تعرف ماذا حل بك.

- الآن فقط صرت أعرف، ولكني لا أعرف من تكون؟

- أنا ربان ذلك الطريق، أنا الحسين.

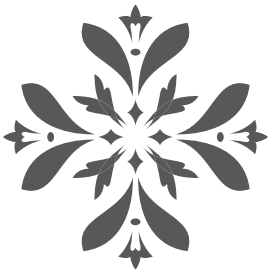

وقَتْلٌ في سبيلك

فوفـّـــق لنــــــا

القصـــة الفائــــزة بالمركـــز الســـابع

للكاتــبة نـــــور البتول حسين زكي

- العراق -

أعتادت فاطمة البالغة من العمر أربعة وعشرون عاماً من سُكان محافظة النجف الاشرف أن تذهب في كل أربعين مشياً على الأقدام من النجف الى كربلاء مع عائلتها مواساة لآل الرسول عليهم السلام.

في عام ٢٠١٩م في الخامس عشر من شهر صفر خلال مسيرة أربعين الأمام الحسين عليه السلام كانت أول مرة تنتبه فيها فاطمة لتلك الصور المعلقة على طوال الطريق على عواميد أنارة الشارع الذي يصل بين كربلاء المقدسة والنجف الأشرف، لم تكن تهتم لرؤيتها وقراءة ما فيها من قبل، اثار الفضول حماستها لأن تقوم بعبور شارع السيارات كي تستطيع رؤية ما بتلك الصور، واذا بالمفاجئة كانت تلك الصور هي صور لشهداء الجيش والحشد الشعبي في عمليات تحرير الموصل، صُدمت فاطمة بعدد الشهداء الكثير حيث أن الصور قد أمتدت على طوال الطريق وتسائلت في نفسها: يا ألهي كلُ هؤلاءِ هم شهداء؟ كم خلّفوا من أيتام وأرامل وثُكالى؟

عادت لتسير مع عائلتها وتكمل الطريق الى أبي الأحرار عليه السلام وقد أثرت فيها الصور إلى حدٍ كبيرٍ وبقيت تفكر كيف أستطاع كل هؤلاء الشباب والرجال الكبار بذل أرواحهم بكل تفاني وعزم، ألم يدخل في قلوبهم خوف أو شفقة على عوائلهم ؟ ألم يكونوا يريدون الحياة ويحبونها؟ عجيبٌ أمرهم وهنيئاً لهم ما وصلوا إليه من منزلة.

حتى حان وقت صلاة الظهر توقفوا عن السير في أحد المواكب لأداء

الصلاة ومن ثم يكملون المسير، أكملت فاطمة صلاة الظهر والعصر وإذا بها تسمع امرأة عجوز تبكي وتشهق من شدة بكائها وحزنها، رقّ قلبُ فاطمة عليها لكبر سِنها فقالت لها: ياخالة لماذا كلُ هذا البكاء هل بإمكاني مساعدتُكِ؟

فأجابت العجوز: يا ابنتي كيف ستساعدينني وهل بإمكاننا أن نُعيد الموتى؟

زاد حزن فاطمة على العجوز لأنها لاتستطيع مساعدتها، فعادت لسؤالها: يا خالة من المتوفى عنكِ؟

فقالت العجوز: كان لدي ولدٌ بعمر الورود المُفتحة قد خطفهُ الموت مني وفجع قلبي به.

فاطمة: وكيف حدث ذلك يا خالة ومتى؟

العجوز: ولدي فراس عمرهُ خمسةٌ وعشرون عاماً قد أستشهد في عمليات تحرير الموصل عام ٢٠١٦م أثناء إحدى العمليات حيث قاموا بقتل الدواعش لعنهم الله وأخرجوا الناس من منازلهم وقاموا بنقلهم إلى المحافظات الآمنة كما قاموا بدفن جثث الموتى منهم وكان ولدي لا يعلم بأن المنزل الذي سيدخله قد قام الدواعش بوضع قنبلة في بابه، وعند دخوله الى المنزل أنفجرت عليه القنبلة وجعلت جسده أشلاء متناثرة قد أحظروه الي وأنا صائمة وذهب ماء عيني معهُ وحياتي أنتهت بانتهائه.

دمعت عينا فاطمة وقالت للعجوز: لا بأس يا خالة تعزّي بعزاء الله إنه قد مضى شهيداً وهو الآن في الجنان العاليات إن شاء الله يتنعم برزق الله ورحمته.

العجوز: نعم يا ابنتي لكن ما باليد حيلة فالعين عبرى والصدور حرى كيف لقلب أم أن ينام وولدها يبكي فكيف اذا مات؟ أكثرُ ما يؤلمُني أنه قد أستشهد قبل حفل زفافه بشهرين فقط كان سعيداً وفرِحاً بعد أن تمت خطبته لكن الموت سبقه، لم أره بثياب عرسه، الآن أنا أشعر بشعور رملة أم القاسم عندما مات ولدها وفلذة كبدها وأستغرقت العجوز بالبكاء الشديد.

فقالت فاطمة: هدئي من روعكِ ياخالة، اذا كان الامرُ كذلك لماذا لم تمنعيه من الذهاب ؟

فقالت العجوز: يا ابنتي كان فراس شاباً مؤمناً يخاف الله ويطلب الشهادة دوماً كي يلتحق بركب أنصار الحسين عليه السلام، قبل أن يذهب في آخر مرة التحق فيها والتي أستشهد فيها عندما توسلت به أن لا يذهب حتى أراه عريساً قال لي: يا أمي إنّ الآخرةَ خيرٌ من الدنيا وهذا السيد علي السيستاني حفظه الله عندما أعطى فتوى الدفاع لم يُعطها عبثاً وأعتباطاً وإنما لأن الوطن والدين كذلك يحتاج لدمائنا ليستقيم أولم تسمعي قول الشاعرالشيخ محسن أبو الحب باحد أبيات قصيدته في رثاء الإمام الحسين عليه السلام:

إن كان دين محمدٍ لم يستقمْ إلّا بقتلي يا سيوف خذيني

بالتأكيد لا يوجد أعز من الأمام الحسين عليه السلام أولستِ أنتِ من رباني على حُبه واتباع خُطاه.

لم يكن يصغي لأي أحد يحاول ردعه عن الذهاب وكان دائماً يردد «وقتلٌ في سبيلك فوفق لنا»، لقد خلقهُ الله للشهادة، وعادت العجوز في بكائها وهي تندب الحسين عليه السلام وتطلب منه الشفاعة لها ولولدها.

حاولت فاطمة تهدأتها وبعد ذلك خرجت لتكمل المسير وتنظر الى صور الشهداء وهي تقول في نفسها، يا إلهي كيف أعطيتهم كل هذا الصبر ليتركوا ورائهم حياتهم ولا يروا أمامهم شيءٌ سواك، ماذا فعل هؤلاء الفتية كي يستحقوا هذه المنزلة، اللهم أرزقني الشهادة كما رزقتهم يا كريم فإن لم أكن أهلاً لذلك فأنت أهل لذلك.

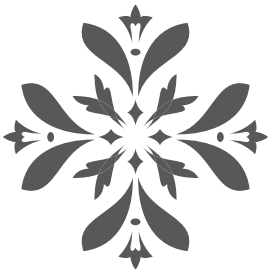

اغتراب الروح

القصـــــة الفائـــزة بالمركـــز الثامـــن

للكاتـبة زينــب أحمد محسن دويـش

- العراق -

في ليلةٍ قمراء مُفجعةٍ، كمن يحتضرُ في آخر لحظات السَّحر، يرسم مُحاولاتٍ فاشلةً؛ كي يُبدَّد هذا الظَّلام، فيرتسم فجر الحُريَّة...

لكن دون جدوى تتهاوى قواهُ وتنطلق منه زفراتُ النِّهاية!

هكذا كانت ليلة نرجس، تنتظرُ بفارغ الصَّبر بزوغ شمس الانتظار..

تمسّك قلبها الذي بات يحتضرُ بصمتٍ لاذعٍ، تمرُّ عليها نسماتٌ عليلةٌ تلفحُ وجهها الذي بانت عليه علامات التَّعب، ثُمّ تُصافح عينيها التي أضناها الانتظار، تُبلغها سلام الأحبَّة وتُبشرها بقُرب اللِّقاء!

(هي) على العهد تنتظرهُ مُطرَّز على عباءتها تأريخ الفتوى المقدسة، (هو) مُقاتل في سوح الوغى، قد لبَّى نداء فتوى الدفاع الكفائي.

كانت السَّاعة تُنصتُ إلى دقاتِ قلبها، فبات كُلّ شيءٍ يُوحي باللِّقاء، صارت تُردِّد داخلها كي تُطفئ لهيب الشوق: اللّهم عجّل اللِّقاء، اللّهم انصرهم وانتصر بهم لدينك.

شعورٌ غريبٌ يُخالجها، تضيقُ أنفاسها حتَّى بات الهواء يخنقها!

المطر في كُلّ مكانٍ، ينشد الوصال، حفيف الشَّجر له دويٌّ صاخبٌ كسر سقف صمتها، فجأة صدح صوت الهاتف، انتفضت مُلملمة بقايا إنسانٍ ينتظرُ بصيص أملٍ.

رفعت السَّماعة بلهفة الضّمآن؛ لعلّه يرتوي.

- أحمد: السّلام عليكم، هل هذا منزل الحسن؟

- وعليكم السّلام وَرَحمةُ اللهِ وبركاته، نعم، تفضَّلوا؟

أحمد بصوتٍ متألّمٍ، وكأنَّ اللَّيل أسدل ستائره مرَّةً أُخرى:

- في الحقيقة.

أصواتٌ تُعاودُ الضَّجيج في رأسها، سقط الهاتف على الأرض وتساقطت معهُ أحلامها...

بعد مُرور دقائق، نهضت نرجس بعد أن لملمت شتاتها، لم تفهم شيئًا سوى رائحة الدِّماء، حاولت التَّماسك كي تحظى بآخر لحظات اللِّقاء، فالقافلة ستمضي مُحمَّلةً بشهيدها!

استقلت سيّارة أُجرةٍ وأتجهت إلى المشفى، وصلت كالطَّير الكسير الذي بات لا يقوى على الطَّيران، لم تبحث كثيرًا فقد قادها إليه ريحهُ كما قاد ريح يوسف قلب يعقوب...

عندما تلاقت الأعين خاضت حديثًا لا تفقههُ القلوب الهشَّة، حاول النُّهوض مرارًا لكن الجُرح هذهِ المرة مختلفٌ، فيه طعمُ الشّهادة.

تخذلها قدماها فباتت لا تقوى على الحراك، تتمنَّى لو ينطوي الطَّريق...

تحقّق العجب، فقد انطوى الطَّريق حتى صارا رُوحًا واحدةً، أمسكت يدهُ وراحت تمسحُ دماء النَّصر وتُزين بها عباءتها، تنظرُ إليهِ بعيونٍ والهةٍ مُتصدّعةٍ من البُعد ومُتشوّقةٌ إلى اللّقاء..

الكلام لا يكفي لوصف الحال، والحُروف تتناثر أمامها، فهذهِ لحظات العُروج.

-نرجس بصوتٍ يملؤه الفخر: هنيئًا لك أيُّها المُقاتل الشُجاع، ظفرت

بمطلبك عندما لبَّيتَ نداء الحقّ ودفعت يد الأعداء، ففزت وربّ الكعبة.

-الحسن وقد أخذ منه النزف مأخذًا:

عزيزةُ قلبي، هذا النَّصر بفضل اللهّ ودعواتكِ وأيمانك بأنَّ هذا الدفاع هو تلبيةٌ لنداء التَّاريخ: ألّا من ناصرٍ ينصُرنا؟

فإلى اللّقاء عند ربٍّ كريمٍ، سانتظرك بفارغ الصَّبر...

- نرجس بصوتٍ مُنكسرٍ: وداعاً وداعًا يا حبيب الرُوح والمُلتقى عند الحُسين عليه السلام، أما عن الذي في بطني فسيكون رجُلًا كما كُنت أنت، يمضي شهيدًا على خطاك، فلن تموت ثورةُ الحُسين ضد الظُّلم، فالحُسين فكرةٌ خالدةٌ مدى العصُور ضد الجور والطُّغيان.

وهكذا أوقدت شمعةٌ في سماء كربلاء؛ كي تُنير الطَّريق أمام الكثير ممَّن أضاعوا السبيل.

هُتاف الأيّام

القصـــة الفائـــزة بالمركـــز التـاسع
للكاتـب طاهــر حسن طاهر الكعبي
- العراق -

١

صَدَقتْ نبوءةُ عبدِ الحق.. هاهو ابنُهُ عبد الزهرة يَصلُ مالَمْ يَصلْهُ هو مِن مراتبِ النجاحِ ودرجاتِ الظفرِ في فنِ الرسم، هاهو يأتي بما -كان هو- يَتمنى الاتيانُ به؛ ولكنّ مسالكَ نشأتهِ لم تَتفقْ وماتَمنى؛ فـ«عبدُ الحق» وُلد رساماً بالفطرة ولم يُغذِّ هذه الموهبةَ الربانيّةَ بغيرِ الاسترسالِ والاستزادةِ الطوعيّة -على امتدادِ سِني عُمرهِ- مِن رسمِ ما تَرصدُهُ عيناهُ وتَستهويه ذائقتُهُ من قَبيلِ رسمِ والدهِ الشيخِ عبد الأعلى وأمِّهِ الحاجة «معصومة» وولَدِهِ «عبد الزهرة» أيامَ كان رضيعاً وصبياً وشاباً، ومِن قَبيلِ المناظرِ الريفيةِ وأهوارِها التي نَشأَ في أحضانِها والتحولاتِ التي تَتخلَّلَها تبعاً لتغيرِ الأيامِ والفصول.

لم يَتركْ له ضيقُ ذاتِ اليدِ فُسحةً لأنْ يَدعَمَ موهبتَهُ بالدراسةِ الاكاديميةِ، فقد غادرَ مقاعدَ الدرسِ وهو ابنُ العاشرةِ ليُساعدَ اباهُ في محلِ التنجيد.

٢

قبْلَ حوالي عشرين عاما انتبهَ عبدُ الحق لرسمةِ صبيِّهِ -ابنِ الخمس سنوات- وكانت تَحملُ فراشةً ضوئيةً مسافرةً في الظلامِ باتجاهِ القمر، بَدَتْ كأجملِ ماتكونُ عليه فراشةٌ مسافرةٌ الى القمر. وقْتَها قطعَ عهداً على نفسهِ بتهيئةِ كلِّ مايَستلزمُ ولدَهُ مِن أسبابِ الاتصال بالمدرسة ليَرفدَ

موهبتَهُ بالعلومِ الاكاديميةِ التي لم يُقدَّرْ له الظفرُ بها؛ فألحقَهُ بالابتدائيةِ ومن ثُمَّ بالمتوسطةِ والكليةِ مجتهدًا في تلبيةِ احتياجاتهِ المعنويةِ والمادية. ولَمْ يَفترْ ذلك الاجتهادُ وتلك العناية حتى بعدَ وفاةِ أمِّ عبدِ الزهرة بآفة السرطان، إنّما ضمَّ إلى سجايا الابوّةِ -التي أجادَ تجسيدَها- بعضاً مِن سجايا الأمومةِ التي افتقدَها ولدُهُ. وظلَّ على ذلك حتى مكَّنَهُ مِن نيلِ الماجستير. وهكذا برَّ عبدُ الحق بعهدِهِ كأحسنِ مايكونُ البَرُّ في العهود؛ وقَرّتْ عينُهُ برؤيةِ ولدِهِ وقد أصبحَ رساماً أكاديمياً سَبَرَ أغوارَ مدارسِ الرسمِ وفنونِها الكلاسيكيةِ والواقعيةِ والرومانسيةِ والوحشيةِ والتكعيبيةِ والتجريديةِ والسرياليةِ والمستقبلية.

٣

أوشكَ عبدُ الزهرة على إتمامِ بورتريه «ابتسامةِ المواساة» للإمامِ السيستاني، ربَّما أكملَهُ فعلاً، لكنّهُ انتبهَ الى أنّ وجهَ الإمامِ بَدا خالياً من الابتسامةِ التي أَلِفَ استحضارَها دونَ سابقِ قصدٍ في رسماتهِ التي أتمَّها مِن ذي قبل. قال لأبيهِ -الذي كانَ واقفاً بجانبهِ غارقاً بناظريهِ الوقورين في عينَي الإمامِ الحزينتين - إنه سيُزيلُ خطوطَ الحزنِ مِن الوجهِ ويَضعُ بدلَها تعابيرَ الابتسامِ التي يَأْنَسُ لها؛ على أنّ هذا الاستدراكَ سيُرجِئُهُ الى إجازتهِ المقبلة؛ فهو وقتذاك جنديٌّ في الحشدِ المُلبّي لنداءِ الإمامِ لمقارعةِ الدواعشِ الذين تَغلغلتْ براثنُهم داخلَ المناطقِ الشماليةِ والغربية؛ وما

كانَ مِـن عبـدِ الحـق إلا أنْ حَـرّكَ راسَـهُ بالإيجـابِ دونَ قطعِـهِ الاتصـالَ بعينـي الإمـام.

٤

عَـنَّ لعبـدِ الحـق إنفـاقُ بعـضِ الدقائـقِ أو السـاعاتِ في غرفـةِ عبـدِ الزهـرة لمعاينـةِ أثـاثِ عرسـهِ المرتقَـبِ وتفحُّـصِ مفرداتـهِ ونواقصِهـا -إنْ وُجِـدَتْ- لكـي يَجلبَهـا في أقـربِ فرصـة؛ ليـس هـذا السـببَ الوحيـدَ لإلمامتـهِ بغرفـةِ ولـدِهِ، إنّما هنالـك سـببٌ آخـرُ اعتـادَ على تسـميتهِ «هتـافُ الأيـام» وهـو صـوتٌ نَشـيجي يَلِـجُ مسـامعَهُ ويَتضعضـعُ لـه قلبُـهُ ويُقلِـقُ أفـكارَه. يَغشـاهُ عـادةً بعـدَ انقضـاءِ الأسـبوعينِ -أو مافوقَـهما بقليـل- على التحـاقِ عبـدِ الزهـرة بفوجـهِ؛ تَعـوَّدَ أنْ يَـمضي بـهِ - كلما ألمَّ بـه- الى غرفـةِ ولـدِهِ، لينكمـشَ الهتـافُ ويَخبـو؛ لكنّـهُ في هـذه المرة تَلقّـاهُ ولم تَمـضِ إلا سـبعةُ أيـامٍ على الالتحـاق، فما عسـاهُ يُريـدُ بهـذا المَقْـدَمِ السـابقِ لأوانـهِ.

دَلـفَ الى الغرفـةِ وانتحـى -دونَ إرادةٍ منـهُ- جانـبَ اللوحـةِ ليجلـسَ على كـرسيٍ تلقاءَهـا ذاهلاً عـنِ الأثـاثِ وعـنِ اللوحـاتِ الأخـرى المُثبَّتـةِ على الجـدرانِ والمكوّمـةِ فـوقَ الثلاجـةِ وعلى الكومدينـو والسريـر. هـمَّ أنْ يُلاطـفَ صاحبَهـا ممازحـاً شـأنُهُ في ذلـكَ مـع الذيـنَ يَزورُهـم في منازلِهـم مِـن الأقـاربِ ويُلـمُّ بمحالِّهـم المتصلـةِ بمحلـهِ مِمّـنْ تَربطُـهُ بهـم أسـبابُ الصّحبـةِ الطيبـة. لَمْ تَكـدْ تَقـعُ عينـاهُ على عينَـي الإمـامِ حتـى عَـدَلَ عـن

نيـةِ الملاطفـةِ، الى الغـوصِ في وداعتِـهما وسلامِـهما وحديثـهما الـذي مِلـؤُهُ السـكينةُ والتسريـةُ عـن القلـب.

٥

حين أتاهُ الناعي بخبرِ ولدِهِ:

– هنيئاً لك ياحاج ارتقاءُ وَلَدِكَ شهيدًا مع الشهداءِ السُّعداء..

تمالـكَ عبـدُ الحـقّ نفسَـهُ ولم تَنفـرطْ حبّـاتُ تماسـكهِ ولَمْ يَـذرفْ دمعـةً؛ لكنّـهُ لَمْ يُجِـبِ الناعـيَ بـغيرِ العِنـاقِ الخالي مـن الـرُّوح. بعدَهـا سَـلّمَهُ هـذا حقيبـةَ ولـدِهِ التـي تَضـمُّ عَلَمَـهُ المخضَّـبَ بدمـهِ وقُـرْصَ الوصيـةِ المدمَّـج، وبعـضَ أغـراضٍ تَخصُّـهُ، ومَضى يُكفكـفُ دموعَـهُ منصرفـا. لم يَـزُرْ خَلَـدَ عبـدِ الحـقّ حينَهـا غيرُ وجـهِ اللوحـةِ المسـتقرةِ في غرفـةِ عبـدِ الزهـرة. ذهـبَ إليـهِ بـكلِ الحكايـاتِ التـي جَمَعتـهُ بولـدهِ والتفاصيـلِ التـي اتصلـتْ بيوميـاتِها.. ذَهَـبَ إليـه لأنـهُ يُـدركُ أنْ لاأحـدَ يُجيـدُ تعزيتَـهُ والتسريـةَ عـن مكنـونِ قلبـهِ في موقفـهِ ذاكَ سِـواه.

وقـف إزاءَهُ منحنيَ الـرأسِ، مكسـورَ الفـؤاد، يُحـاولُ إعـدادَ كليـاتٍ عـن شـهادةِ وحيـدهِ يُلقيهـا في حضرتـهِ. ولكـنَّ الأحـرفَ تَأبَّـتْ عليـه. حـاولَ ثانيـةً وثالثـةً دونَ جـدوى. أخيراً قـرّرَ النظـرَ إلى مُحيّـاهُ فحسـب، مُوقِنـاً أنّـهُ سـيُقدِّرُ ماهـو فيـه مِـن مُصـابٍ وسـيُعذِرُ عجـزَهُ. مـا إنْ مَـدَّ الـبصرَ إليـه حتـى ارتعـدَ مِـن ذهـولٍ وعَجَـبٍ، ودخـلَ في حالـةِ اضطـرابٍ غيرِ معهـودة ! فقـدْ بـدا

الوجـهُ بـاسماً مواسـياً كأجمـلِ مايكـونُ عليـه الابتسـامُ، وألـذِّ ماتكـونُ عليـه المواسـاة! كيـفَ ذلـك ؟! طفـقَ يُكـررُ هـذه الـ «كيـف» وعينـاهُ لاتفارقـانِ الوجـهَ وبسـمتَهُ المواسـية. أحـسَّ بتعـبٍ يُثقِـلُ مفاصلَـهُ. اقتعـدَ الكـرسيَّ وسـبّحَ اللهَ ثلاثـاً وقـالَ وعينـاهُ مغرورقتـان: طُوبـى لي ولـك ياولـدي.

فتوى الفتحِ المبين

القصـــة الفائـــزة بالمركـــز العاشر

للكاتـــــب حسيـــن علي حسين

- العراق -

انهمكتُ في شربِ الشاي وحيداً أجلسُ على كرسيٍ معزولٍ في مقهى تطلُ على التقاطعِ الرئيسي للمدينةِ، ثمة ضجيجٍ يدورُ حولي لم أعرْ له انتباهاً، أرتشفُ الشاي على مهلٍ وأفكرُ بصمتٍ عندما أجولُ بنظري الى السياراتِ التي تمرُ من أمامي، خيوطُ الدخان وقرقعةُ الأراجيلِ وأصواتُ ارتطامِ أكوابِ الشاي تمرُ في ذهني وأنا مستغرقٌ وأسألُ (ماهي نهاية دمي؟)، فتحتُ نوافذَ ذاكرتي بمزاجٍ موغلٍ في الحزن.

لا أحتاجُ الى وقتٍ لأجمعَ شجاعتي المبعثرة في طياتِ الوقت، اشتدَ صوتُ الإسعافِ الآتيةِ من مدينةِ جرفِ النصر وكأن صوتَها يذكرني بما أفكرُ به ويقيني ألمخبأ في جنباتِ إيماني العميق، أردتُ أن أفكرَ بهدوءٍ لكن نقاشَ الناسِ من حولي وتطلعاتهم وانفعالاتهم حين يرونَ الإسعافَ بسرعتها وصوتها الذاهب الى المستشفى محملة بشهيدٍ أو جريحٍ منعتني من أن افكرَ إذ صرختُ وسطَ المقهى (إنّها أقل من نصف ساعة تكفي للوصول الى جرفِ النصر).

استغربَ الجميعُ من الذهولِ الذي أصابني وقفزتي الثورية التي يرافقها رفضٌ لكوبِ الشاي ورفض لجلوسي العبثي بعيداً عن صدى الفتوى المقدسة، اتجهتُ الى المستشفى التي تبعد خمس دقائق مشياً ورأيتُ الزحامَ الشديد والاطباءَ الذين يجتمعون حول جرحى النصر ورأيتُ رجلاً يقفُ عندهم بوجههِ الوقورِ ولحيتهِ البيضاء وتراب المعركةِ مازال يفوحُ منه عطراً قدسياً ودون تفكيرٍ قلتُ له: متى ترجون الى

المعركة اريد أن أذهبَ معكم، تعجب من كلامي وقال: إن اردتَ هذا يجب أن تذهبَ للتطوعِ في مركزِ هيئةِ الحشدِ في الحلةِ لتحصل على قرارٍ وتدريبٍ مناسب، لم استطعْ الانتظار إذ ذهبتُ مباشرةً الى هناك وتمنيت أن أنالَ القبولَ، لا أعرف كيف تشرفتُ بقرار القتالِ لتحريرِ جرفِ النصر وكيف قررتُ الولوجَ في هذا العالمِ القدسي ربما لأنني رأيتُ كيف عانت مدينتي (المسيب) من قصف الهاونات أو من التفجيراتِ التي يرتكبها مجرمو داعش، لم ابصر سوى ذلك المسؤول في الحشدِ المقدس وهو يسالني هل دخلتَ الى الجيشِ من قبل؟ قلت نعم، اعرف كل شيء لكنه أدركَ وقال انني يجب أن أتلقى بعض التدريب، وافقت على كل شيء وتمنيت أن يقول لي التحقْ الآن.

بعدَ فترةٍ صرتُ أشهقُ فرحاً بعد انتظارٍ أحسبُهُ طويلاً إذ حُسِم أمري وذهبتُ مع مجموعةٍ من المقاتلين الذين التحقوا، أمسكني الإصرار من رأسي وأقحمني في قلبِ الموضوع وصارت الشوارعُ لا تسعني، قررتُ أن استنفذَ كل طاقاتي وصرتُ صلباً متسلحاً بدمي الممتزج بحب اهلِ البيت عليهم السلام، كنت أستطيع أن أبصرَ خطواتي وهي تتدحرجُ أمامي ولدهشتي فوجئتُ بأن العالمَ لم يتغيرْ والناس يسيرون في الشوارعِ وكأن شيئاً لم يكن، كنت أفكر أن كل الدنيا تحتاجُ الى ضوءِ الفتوى وصار لزاماً علي أن أختارَ الشهادة، وكان اكتشافي هذا مبهراً لدرجةِ أني بدأتُ أشعرُ برغبةٍ لأن أفتحَ صدري لكلِ رصاصةٍ معادية.

في كلِّ يومٍ تلوحُ لي صدى الفتوى المقدسة وأرسلُ دمي الى حروفي كي تتوهج، قررتُ تجاهلَ كلِّ هوامشي الصغيرة وأن أنذرَ دمي للدفاع عن الأرض والعِرض والمقدسات.

أيتها الفتوى: قدسيتك سراجا في ظلماء الليل المعتم، والذين ذبحوا الحبال كي لا نصل اليك سيفهمون يوماً إنّهم انتحلوا لذةَ يزيد الاثمة في دنيا فانية ليقبعوا في الهاوية.

ها أنا ذا أتهيأ لمحطتي ألأولى، إنها المرة الأولى التي أكون بها في جرفِ النصر البسُ الملابس العسكرية فيها، بعد اجتيازنا لعددٍ كبيرٍ من المواقعِ العسكريةِ والسيطرات اقتربنا من الأماكنِ التي يجب أن نكونَ فيها حذرين من الألغامِ، أكياسُ الرملِ والترابِ تعبّرُ عن مواقعٍ قتاليةٍ لغزارةِ القصفِ، أشجارٌ كثيرةٌ قد اقتلعتْ والشوارع المعبّدة أكثرها أصبحتْ عبارة عن حفرٍ وأحيانا تقطعها جذوعُ الأشجارِ الطويلةِ وهذه ألأماكن لا تخلو من الألغامِ التائهة التي زرعها المجرمون، نقاطُ الحراسةِ البطلةِ تطلُ علينا كأنها قمرٌ في ليلةٍ حالكة، أمّا أصوات الانفجارات فأنها تظهرُ بين الحينِ والآخر لتذكرنا بالخطر، وصلنا الى الثكنةِ العسكرية اللواءِ بعدَ توقفٍ قليلٍ في مقرِ اللواء الذي نسبني الى السريةِ الثانيةِ المقاتلة التابعة للفوج.

وصلتُ الى السريةِ الثانيةِ بادلوني التحيةَ في الملجأِ الذي كنا نسمعُ خارجه أصواتَ قذائفِ الهاون التي تبدو بعضها قريبة، كان الحشدُ

الشعبي المقدس موزعاً على الكثيرِ من المواقع وكنت أرى الشبابَ لا يهابون الموتَ بوجوههم البراقة الحالمة الملبية للفتوى المقدسة، كانت عقاربُ الساعةِ تشير الى الساعةِ الواحدة ظهراً كنت حينها أجلسُ مع زملائي داخل الملجأِ ننتظرُ أوامرَ الهجومِ حينما جاءَ ضابطُ السريةِ يطلب ثلاثةَ من المقاتلين ليكلفهم بمهمةِ ايصالِ العتادِ والمؤونة الى المقاتلين في الخطوط الأولى، تطوع اثنان وقلت بصوتٍ واثقٍ أنا الثالث ورغم اعتراض الضابط لكني قررتُ التمسكَ بقراري رغم أني جديدٌ هنا الأمر الذي جعل الضابطَ يقبلني بعد اصراري الكبير، بدأنا التحرك بعدما حصلنا على معلوماتٍ عن مكانِ وطبيعةِ الواجب، انطلقنا تحت وابلِ أصواتِ الرصاصِ والقصف الكثيف، كان علينا أن نتسلحَ باليقظةِ والحذرِ حيث الألغام موزعة على الطريقِ الملتويةِ في دروبِ جرفِ النصر التي تكثر بها البساتين والشوارع الضيقة، كنا نتقدّم بسيارتنا المكشوفة وكان الموتُ يعيش معنا كل لحظةٍ بل ان الموتَ كان شهيقا، ورغم كل تلك الأحاسيس فقد استمرَ السائقُ بالتقدم مرة بسرعة ومرة ببطء، قال لي أحد رفاقي المقاتلين سوف نصلُ بعد قليلٍ وفي اللحظةِ التي أخبرني بها ذلك لم أشعرْ إلاّ وصوت انفجارٍ كبيرٍ قد مسّت شظاياه أطرافَ عربتنا العسكرية وهناك كل لحظةٍ كانت كأنها آخر لحظة، لم أشعرْ بشيء أهو الموت؟ تفحصت جسدي لم أجدْ شيئاً ولكن زميلي كان مصاباً وينزف من كتفهِ اثر شظية قد أصابتْ جسده، خلعتُ قميصي العسكري بسرعة

وربطتُ كتفَهُ، السائق يصيحُ هل أنتم بخير، قلت نعم لا تتوقفْ، حيث بدأ يسيرُ بسرعةٍ حتى وصلنا الى المكانِ ووجدناهم قلقين علينا أكثر ما نحن قلقين عليهم، أنزلوا زميلَنا المصاب عقّموا جرحَه وربطوه من جديد.

أكداسُ العتادِ وكل ما يحتاجونه وصلَ اليهم.

رجعنا الى المقرِ في نفسِ الطريقِ بسلامٍ وكان الجميعُ بانتظارنا مع زميلنا المصاب وقد ودّعَ النهارُ ضياءَه، انفرجتْ أسارير الضابط (الحمد لله على سلامتكم)، أخبرناه بإكمال الواجب.

تأمّل الضابطُ وجهي وقال: الفتوى المقدسة جعلتنا ننسى زوائدَ الدنيا حينها تذكرتُ حياةَ اللامبالاة التي كنت أعيشها.

بعدها تنفست النصرَ الرجولي

صرت ما أريد، صرت شاهداً، ، ، ، ، ، ، ، ، ، ، ، ، ، وشهيداً.

المحتويات

المقدمة	٤
غرفـــــة ج	٦
ريــاح الشمــال	٢٤
أحد عشر كوكباً	٣٢
حبال الشّمس والضّوء الشّهيد	٤٢
المهمة	٥٢
حيثُ يُريدني الوطـــــــــنُ	٦٤
وقَتْلٌ في سبيلك فوفـــــق لنــــــا	٧٢
اغتراب الروح	٧٨
هُتـاف الأيّـام	٨٢
فتوى الفتحِ المبين	٨٨